

منازل الآخرة

حول الموت... وعالم ما بعد الموت

المحدث الجليل الشيخ عباس القمي رحمه الله

وللآخرة خير لك من الأولى

حسين كوراني

دار التعارف للمطبوعات


منازل الآخرة
حول الموت ... وعالم ما بعد الموت



تأليف

المحدث الجليل الشيخ عباس القمي رحمه الله

صاحب "مفاتيح الجنان"

ترجمة

حسين كوراني

دار التعارف للمطبوعات

١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

دار التعارف للمطبوعات

المكتب : شارع سوريا - بناية درويش - الطابق الثالث
الادارة والمعرض : حارة حريك - المنشية - شارع دكاش - بناية الحسنين
تلفون : ٨٣٧٨٥٧ - ٨٢٣٦٨٥
صندوق البريد ٨٦٠١ - ١١ - ٦٤٣ - ١١

الإهداء

إلى مجاهدي المقاومة الإسلامية ...
جنود الإمام المهدي المنتظر
أرواحنا له الفداء ...

أقدم هذا الكتاب

* هذا الكتاب قصة :

لكتاب « منازل الآخرة » قصة مهمة جداً تكشف عن عظمة التربية الإسلامية . . وعظمة المؤلف المحدث الشيخ عباس القمي رضوان الله تعالى عليه . .

قال المحدث لولده الكبير :

عندما ألّفت كتاب « منازل الآخرة » وطبعته ، ووصل إلى قم ، وقع الكتاب في يد الشيخ عبد الرزاق وهو شيخ كان يبين بعض الأحكام الشرعية كل يوم قبل الظهر في دار حرم المعصومة (فاطمة بنت الإمام الكاظم) سلام الله عليها .

وكان المرحوم والدي الكربلائي محمد رضا (أي زائر كربلاء) من مريدي الشيخ عبد الرزاق والمعجبين به . . وكان يحضر مجلسه يومياً . .

ويبدأ الشيخ عبد الرزاق يفتح كتاب « منازل الآخرة » ويقرأ منه للمستمعين .

وذات يوم جاء والدي إلى البيت وقال لي : شيخ عباس . . يا ليت أنك مثل هذا الشيخ الذي يدرس الأحكام ، وتستطيع أن تصعد المنبر وتقرأ لنا في هذا الكتاب الذي قرأ لنا منه اليوم .

وعـدة مرات أردت أن أقـول له : إن ذلـك الكتاب من مؤلفـاتي . . ولكني كنت كل مرة أمتنع عن ذلك . . ولم أقل له شيئاً . . فقط قلت له · تكرم بالـدعاء لي ليوفقني الله[1] .

* الدلالات :

تتضمن هذه القصة المربية عدة دلالات . . وتسلط الضوء على عدة حقـائق منها :

١ ـ أهميـة الإيمـان بـالغيب في بنـاء عـالم الشهـادة عـلى أسـاس القيم والأخلاق . . بحيث أنه يمكن القول : لا أخلاق بمعزل عن الإيمان بالغيب . .

وربما كشف لنا ذلك سر الربط بين التقوى والإيمان بالغيب . . قال تعالى :

﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب . . . ﴾ (البقـرة ٣ ـ ٤) .

٢ ـ ضرورة العناية بسيرة علمائنا الأبرار التي تشكل همزة الوصـل بين الأمـة وصاحب الخلق العظيم صلّى الله عليه وآله وسلم إن تواصلنا عبر سيرة علمائنا مـع سيرة المصطفى وآل بيته صلوات الله عليه وعليهم هـو المنـطلق الأفضـل ـ وربمـا الوحيد ـ إلى تحصين الأمة من الغزو الثقافي الذي يشكل قاعدة لكل غزو . .

وإذا رجعنا إلى سيرة علمائنا رضوان الله عليهم فسنكتشف فيهـا كنوزاً ثمينـة ندرك بها مدى اكتفائنا الذاتي وثرائنا في مجـال القيم . . الأمر الـذي لا يدع مجـالاً للبحث عن قدوة لنا خارج سربنا كما هو حال الكثيرين منا الآن . .

٣ ـ وتكشف هذه القصة أيضاً عن سر التوفيق الإلهي الذي حظي به المؤلف الجليل الشيخ القمي رحمه الله خصوصـاً في كتابـه « مفاتيح الجنان » الـذي يعتبر أنيس المتوجهين إلى الله تعالى بالدعاء وطلب المغفرة وزيارة أوليائه .

إن عمق الإخلاص الذي يتجـلى في هذه القصـة يدل عـلى أن المؤلف عاش

---

(١) « سيماي فرزانگان » فارسي / ١٥٣ ـ ١٥٤ .

الآخرة منزلاً منزلاً ، حتى أصبح قلبه معلقاً بالملأ الأعلى متيماً بحب الوطن الحقيقي والحياة الحقيقية . .

* * *

*** منازل الآخرة :**

عندما كان المحدث القمي في حدود الأربعين من عمره كان منشغلاً بتأليف « الفوائد الرضوية » وهو كتاب رجالي يترجم فيه للعلماء الشيعة . .

ولما وصل بحسب ترتيب حروف الهجاء إلى اسمه قال ما ترجمته :

حيث أن هذا الكتاب الشريف في بيان أحوال العلماء لم أر من المناسب أن أدرج ترجمتي فيه فأنا أحقر وأقل من أن أكون في عدادهم . . لهذا أعرضت عن ذكر ترجمتي وأكتفي بذكر مؤلفاتي . .

ثم ذكر بين مؤلفاته المطبوعة كتاب « منازل الآخرة » ولا يمكنني الجزم بالسنة التي بدأ المحدث فيها بتأليف كتابه هذا . . نعم صرح هو رحمه الله بتاريخ انتهائه من تأليفه وهو يوم ولادة الإمام الحسن عليه السلام منتصف شهر رمضان عام ١٣٤٧ هـ كما ورد في خاتمة هذا الكتاب . .

ولدى استعراض كتاب « منازل الآخرة » تبرز جلياً سعة اطلاع المحدث القمي ، فقد تصيد الروايات المتناثرة في شتى المصادر والتي لا يجمعها عادة باب واحد . . وبوبها . . ليقدم للقارىء رسالة عملية عن الآخرة تسهل له سبل خير الزاد للحياة الطيبة . .

ولا يخفى على من يقرأ للمحدث القمي رحمه الله ما لأستاذه المحدث الجليل النوري صاحب المستدرك من أثر كبير في شخصيته . .

وينبغي اعتبار المحدث النوري رحمه الله مجدداً في المنهج الذي أرسى دعائمه أبرز العلماء الزهاد السيد الجليل ابن طاووس رضي الله عنه .

والمحدث القمي علم من أعلام هذا المنهج الذي يتميز عن غيره بطريقة

التعـاطي مع الغيب حتى لتلمس أن الغيب في حيـاة هؤلاء الأعـلام مـلء السمـع والبصر يعيشونه بكل كيانهم وجوارحهم أكثر مما يعيشون عالم الشهادة . . لأنه أكبر من عالم الشهادة . . وأين الثريا من الثرى . .

وكتاب منازل الآخرة ليس من الكتب التي تقرأ مـرة وتترك . . كـما أنه ليس من المصادر التي يرجع إليها البـاحث بين الحـين والآخر وحسب . . بـل هو ـ كـما ذكرت ـ رسالة عملية للآخرة ينبغي أن يطبق أحدنا ما ورد فيـه . . فيأخـذ مثلاً : « ما يهون سكرات الموت » ويعمل على تطبيق ذلك والإلـتزام به بهـدف أن يشمله اللطف الإلهي فيهون عليه سكرات الموت . .

وهكـذا . . في سائـر المنازل والمحـطات إنه كتـاب جديـر بأن يكـون أنيس المؤمن الدائم سيستريح إليه كلما هـده التركـاض وأثقلت كاهله منعـطفات الـطريق ووعثاء السفر . . وهزه الشوق والحنين إلى جوار الله تعالى في الحياة الباقية . . .

* * *

ولد المؤلف على ما ذكر هو رحمه الله « عام ١٢٩٤ هـ ظاهـراً » وتوفي عـلى ما ذكر ابنه عام ١٣٥٩ هـ[١]

وقد عمر رحمه الله دنياه وآخرته . . وتزود خير الزاد . . وترك من الصدقات الجارية أكثر من خمسة وخمسين كتاباً بين مؤلف ومترجم استدعى بعضها جهـده على مدار عشرين سنة كما ذكر حول « سفينة البحار »[٢] .

ولو لم يكن له من هذه الكتب إلا سفينة البحار أو الكنى والألقاب أو الفوائد الرضوية أو منازل الآخرة أو مفاتيح الجنان . . لكفى . .

رحم الله تعـالى المحدث القمي . . وأفـاض علينا من بـركـاتـه . . ورزقنـا

---

(١) فوائد رضوية « فارسي » ٢٢١ / ٢٢٢ .
(٢) مقدمة سفينة البحار / ١١ .

شفاعته بالنبي المصطفى وآلـه . . صلوات الله وسلامـه عليهـم . . والحمد لله رب العالمين .

حسين كوراني
بيروت ـ شهر رمضان المبارك
١٤١٠ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين وبعد :

* يقول هذا العبد الفقير المعدم والمتمسك بأحاديث أهل بيت الرسالة عباس بن محمد رضا القمي ختم الله له بالحسنى والسعادة .

يحكم العقل والنقل بأن الشخص الذي نوى سفراً ، يجب عليه أن يهيء لسفره الزاد بالمقدار الذي يحتاجه في ذلك السفر . . ثم يسافر . .

* وبناءً على هذا فإن سفر الآخرة ـ الذي نواجهه ولا مجال بأي وجه للهرب منه ـ أولى بالزاد وأحق . . كما روي أن أبا ذر الغفاري رضي الله عنه قدم مكة المعظمة فوقف عند الكعبة فقال :

أنا جندب بن سكن ، فاكتنفه الناس فقال : لو أن أحدكم أراد سفراً لاتخذ فيه من الزاد ما يصلحه فسفر يوم القيامة أما تريدون فيه ما يصلحكم فقام إليه رجل فقال : أرشدنا فقال :

صم يوماً شديد الحر للنشور وحج حجة لعظائم الأمور . وصل ركعتين في سواد الليل لوحشة القبور الخ »[1] .

* وقد وعظ الإمام الحسن المجتبى عليه السلام في مرض شهادته جنادة بن

---

(١) بحار الأنوار ج ٧٨ / ٤٤٨ وسفينة البحار ١ / ٦٢٩ .

أبي أميــة فكان أول مــا قال لــه : « . . استعـد لسفـرك وحصـل زادك قبـل حلول أجلك . . . »[1] .

* بل حيث أن سفر الآخرة بعيد ومهول وفي طريقه منازل (محطات) صعبة وعقبات شديدة وأماكن وعرة فهو بحاجة إلى زادٍ كثير وهـو أمـر يجب أن لا يغفـل الإنسان عنه لحظة واحدة ، وأن يبقى يفكر به ليل نهار ، كما روي أن أمـير المؤمنين عليه السلام كان يرتفع صوتـه الحنون في كـل ليلة عندمـا يأوي النـاس إلى فرشهم بحيث يسمع صوته عليه السلام جميع أهل المسجد وجيرانه وهو يقول : « **تجهـزوا رحمكم الله فقد نودي فيكم بالرحيل وأقلوا العرجة على الدنيا وانقلبـوا بصالـح ما بحضرتكم من الـزاد ، فإن أمـامكم عقبة كؤوداً ومنـازل مخوفـة مهولـة لا بد من الورود عليها والوقوف عندها** . . . »[2] .

* وهـا نحن نشـير بغـايـة الإختصـار إلى بعض تلك العقبـات الكؤود (الصعبة) والمنازل المهولة ، وبعض ما هو نافع لشدتها وهولها ونورد ذلك في عـدة فصـول وإذا وفقني الحق تعالى وكـانت مهلة في الأجل فلعـلي ـ إن شاء الله ـ أؤلف كتاباً وافياً في هذا الباب . . بالرغم من أني لا أرى في هذا الزمان أشخاصاً يبحثون عن مثل هذه المطالب من منطلق الجد والحقيقة . . ولهـذا فقد كتبت هـذا المختصر بذبول وقلة رغبة . . وأسأل الحق تعالى تأييده وتوفيقه إنه قريب مجيب .

---

(١) من موعظة طويلة له عليه السلام البحار ٤٤ / ١٣٩ / ١٤٠ .
(٢) البحار : ٧١ / ١٧٢ والنص المثبت هنا عن « نهج البلاغة » .

الفصل الأول

المنزل الاول :

وفيه عقبات

العقبة الأولى

---

* ملاحظة : المنزل بمعنى المحطة التي ينزل فيها المسافر .

* المنزل الأول لهذا السفر هو الموت

ولهذا المنزل عقبات كؤود ومراحل صعبة نشير إلى عقبتين منها :

* العقبة الأولى :

* سكرات الموت وشدة نزع الروح

﴿ وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ﴾ (ق ـ ١٩) .

* وهذه العقبة صعبة جداً تتوالى الشدائد والصعوبات فيها على المحتضر من كل جانب . . شدة المرض والألم وانعقاد اللسان وزوال القوى من الجسد من جهة . .

وبكاء الأهل والعيال ووداعهم له وغم أطفاله ويتمهم وفقدهم الملاذ . . من جهة أخرى ومن جهة ثالثة غم الإنفصال عن ماله ومنزله وأملاكه ومدخراته وممتلكاته النفيسة التي صرف عمره العزيز من أجلها حتى حصل عليها بمختلف الوسائل . . بل غالباً ما يكون الكثير من ذلك من أموال الناس تملكها بالظلم والغصب . . وما أكثر الحقوق التي وجب عليه دفعها مقابل تملكه تلك الأموال ولم يدفعها . . إنه الآن مدرك لفساد عمله . . ولكن بعد فوات الأوان وسد طريق إصلاح ما أفسده . . فهو كما قال أمير المؤمنين عليه السلام :

* « . . . يتذكر أموالاً جمعها أغمض في مطالبها وأخذها من مصرحاتها

ومشتبهاتها قد لزمته تبعات جمعها وأشرف على فراقها تبقى لمن وراءه يَنْعمون فيها ويتمتعون بها فيكون المهنأ لغيره والعبء على ظهره . . . »[١] .

ومن جهة (رابعة) هول الورود إلى النشأة الأخرى (هول المُطَّلَع) التي هي غير هذه النشأة . . وعينه ترى أموراً لم تكن تراها من قبل :

﴿ فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ﴾ (ق : ٢٢) ويرى رسول الله وأهل بيت الطهارة صلوات الله وسلامه عليه وعليهم ، وملائكة الغضب قد حضروا ليصدر في حقه الحكم المناسب والتوصيات المناسبة[٢] ، ويرى من جهة أخرى إبليس وأعوانه[٦] يريدون فعل شيء ليسلب منه الإيمان ويخرج من الدنيا بدون إيمان . .

كما يرى مجيء ملك الموت . . وبأية هيبة سيكون ؟ وبأية كيفية سيقبض روحه ؟ إلى غير ذلك . . قال أمير المؤمنين : فاجتمعت عليه سكرات الموت فغير موصوف ما نزل به[٤] .

* روى الشيخ الكليني عن الإمام الصادق عليه السلام : إن أمير المؤمنين صلوات الله عليه اشتكى عينيه فعاده النبي صلى الله عليه وآله فإذا هو يصيح فقال له النبي صلى الله عليه وآله أجزعاً أم وجعاً ؟ فقال : يا رسول الله ما وجعت وجعاً قط أشد منه فقال : يا علي إن ملك الموت إذا نزل لقبض روح الكافر نزل معه سفود من نار فنزع روحه به فتصيح جهنم . فاستوى علي عليه السلام جالساً فقال يا رسول الله أعد علي حديثك فقد والله أنساني وجعي ما قلت ثم قال : هل

---

(١) نهج البلاغة : خ ١٠٩ .
(٢) الروايات مستفيضة حول رؤية المحتضر للمصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام راجع مثلاً : دار السلام للمحدث النوري ٤ / ٢٨٥ والبحار ٦ / ١٨٤ / ١٩٦ والكافي ٢ باب من يجب مصادقته وأما حضور ملائكة الغضب فيكفي لإثباته قوله تعالى : ﴿ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم﴾ وراجع حول حضور المصطفى والأئمة والملائكة صلوات الله عليهم البحار ٦ / ١٩٥ و ١٧٢ .
(٣) بحار الأنوار ٦ / ١٩٥ وفروع الكافي ٣ / ١٣٦ و ١٢٣ .
(٤) نهج البلاغة : خ ١٠٩ باختلاف .

يصيب ذلك أحداً من أمتك ؟ قال : نعم حـاكم جائـر ، وآكل مـال اليتيم ظلماً ، وشاهد زور[1] .

---

(١) البحار : ج ٦ / ١٧٠ نقلاً عن فروع الكافي ج ١ / ٧٠ .
والسفّود بفتح السين وتشديد الفاء : عـود من حديـد ينظم فيـه اللحم ليشوى والجمـع سفافيد (المعجم الوجيز) .

ما يُهوِّن سكرات الموت

من جملة ما يهون سكرات الموت :

١ ـ ٢ صلة الرحم وبر الوالدين :

روى الشيخ الصدوق عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال : من أحب أن يخفف الله عزَّ وجلَّ عنه سكرات الموت فليكن لقرابته وصولاً وبوالديه باراً فإذا كان كذلك هون الله عليه سكرات الموت ولم يصبه في حياته فقر أبداً[1] .

* وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله حضر شاباً عند وفاته فقال له : قل لا إله إلا الله فاعتقل لسانه مراراً فقال لامرأة عند رأسه : هل لهذا أم ؟ قالت : نعم ، أنا أمه قال : أفساخطة أنت عليه ؟ قالت نعم ما كلمته منذ ست حجج قال لها : إرضي عنه قالت : رضي الله عنه برضاك يا رسول الله .

فقال له رسول الله : قل لا إله إلا الله ، فقالها فقال النبي صلى الله عليه وآله ما ترى ؟

فقال : أرى رجلاً أسود قبيح المنظر وسخ الثياب منتن الريح قد وليني فأخذ بكظمي (حنجرتي) فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم قل : « يا من يقبل اليسير ويعفو عن الكثير إقبل مني اليسير واعف عني الكثير إنك أنت الغفور

---

(١) بحار الأنوار ٧٤ / ٨١ وروضة الواعظين / ٣٦٧ .

الرحيم » فقالها الشاب فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنظر ما ترى ؟ قال : أرى رجلاً أبيض اللون حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب قد وليني وأرى الأسود قد تولى عني قال أعد فأعاد (الدعاء) قال ما ترى ؟ قال : لست أرى الأسود وأرى الأبيض قد وليني ثم طفى (ط ف ى) (مات) على تلك الحال [1] .

* يقول المؤلف : تأمل في هذا الحديث جيداً وانظر أثر العقوق إلى أي حد . . فإن هذا الشاب مع أنه كان يعتبر من الصحابة وقد جاء مثل نبي الرحمة صلوات الله عليه وآله إلى عيادته وجلس بجوار فراش احتضاره ولقنه صلى الله عليه وآله بنفسه كلمة الشهادة ـ مع ذلك ـ لم يستطع التلفظ بها إلا بعد أن رضيت عنه أمه . . عندها انطلق لسانه وقال كلمة الشهادة .

٣ ـ من كسى أخاه :

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام من كسى أخاه كسوة شتاء أو صيف كان حقاً على الله أن يكسوه من ثياب الجنة وأن يهون عليه سكرات الموت وأن يوسع عليه في قبره وأن يلقى الملائكة إذا خرج من قبره بالبشرى [2] .

٤ ـ من أطعم أخاه حلاوة :

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من أطعم أخاه حلاوة أذهب الله عنه مرارة الموت [3] .

٥ ـ ٦ ـ ومن الأمور الأخرى لتعجيل راحة المحتضر أن تقرأ عنده سورة يس والصافات [4] .

---

(١) بحار الأنوار ٧٤ / ٧٥ وأمالي المفيد / ٢٨٧ .

(٢) ميزان الحكمة : ٢ / ٥٤٣ والبحار ٧٤ / ٣٨٠ بزيادة . والكافي كتاب الإيمان والكفر باب من كسا مؤمناً .

(٣) بحار الأنوار ٧٥ / ٤٥٦ .

(٤) يلاحظ أن الروايات تؤكد على قراءة سورة يس أكثر من الصافات . البحار ٨١ / ٢٣٠ فما بعدها خاصة ٢٤٠ قال السيد بحر العلوم في منظومته :

واتل لديه سور القرآن لا سيما يس ذات الشان

٧ ـ وكلمـة الفـرج (لا إلـه إلا الله الحليم الكـريم) السخ التي تقـرأ في الصلوات [١] .

٨ ـ صوم آخر يوم من رجب .

وروى الشيخ الصدوق عن الإمام الصادق عليه السلام : « . . . من صـام يوماً من آخر هذا الشهر (رجب) كان ذلك أماناً له من شدة سكرات الموت وأماناً له من هول المُطّلع وعذاب القبر . . . » [٢] .

٩ ـ صوم ٢٤ يوماً من رجب :

واعلم أنه قد ورد في الروايات الثـواب الكثير لمن صـام أربعة وعشرين يـوماً من رجب من ذلك :

« ومن صام من رجب أربعة وعشرين يوماً فإذا نزل به ملك الموت تـراءى له في صورة شاب عليـه حلة من ديباج أخضر ، عـلى فرس من أفـراس الجنان وبيـده حرير أخضر مُمَسَّـكٌ بالمسـك الأذفر ، بيده قدح من ذهب مملوء من شراب الجنـان فسقاه إياه عند خروج نفسه ويهون به عليه سكرات الموت [٣] .

١٠ ـ صلاة الليلة السابعة من رجب :

* روي عن رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه وسلم أن من صـلى في الليلة السابعة من رجب أربعاً بالحمد مرة والتوحيد والمعوذتين ثلاثاً ثـلاثاً فـإذا سلم صلى عـلى النبي وآله عشـراً ويقول البـاقيـات الصـالحـات عشـراً هي : (سبحـان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر) أظله الله في ظل عـرشه وأعـطاه الله ثواب من صام رمضان واستغفرت له الملائكة حتى يفرغ من هذه الصـلاة وسهل عليـه النزع

---

(١) الدعاء كما أورده المؤلف في هامش مفاتيح الجنـان / ٥٤٠ : لا إله إلا الله الحليم الكـريم لا إله إلا الله العلي العـظيم سبحان الله رب السـماوات السبع ورب الأرضـين السبع ومـا فيهن ومـا بينهن وما تحتهن ورب العـرش العظيم والحمد لله رب العالمين والصلاة عـلى محمد وآله الطيبين .

(٢) روضة الواعظين / ٣٩٦ .

(٣) ثواب الأعمال وعقاب الأعمال / ٨١ .

وضغطة القبر ولا يخرج من الدنيا حتى يرى مكانه في الجنة ويؤمنه الله من الفزع الأكبر [1] .

١١ ـ دعاء يقرأ كل يوم عشراً :

في « البلد الأمين » عن النبي صلى الله عليه وآله أن من قال هذه الكلمات كل يوم عشراً غفر الله تعالى له أربعة آلاف كبيرة ووقاه من شر سكرات الموت وضغطة القبر ومائة هول من أهوال يوم القيامة ووقي من شر إبليس وجنوده وقضى دينه وكشف همه وغمه وفرج كربه وهي هذه :

*** أعددت لكل هول لا إله إلا الله ولكل هم وغم ما شاء الله ولكل نعمة الحمد لله ولكل رجاء الشكر لله ولكل أعجوبة سبحان الله ولكل ذنب أستغفر الله ولكل مصيبة إنا لله وإنا إليه راجعون ولكل ضيق حسبي الله ولكل قضاء وقدر توكلت على الله ولكل عدة اعتصمت بالله ولكل طاعة ومعصية لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم** [2] .

١٢ ـ ذكر شريف :

واعلم أن لهذا الذكر الشريف إذا قرىء سبعين مرة فضلاً عظيماً منه أن قارءه يبشر عند الموت والذكر هو : **يا أسمع السامعين ويا أبصر المبصرين ويا أسرع الحاسبين ويا أحكم الحاكمين** .[3]

١٣ ـ سورة الزلزلة :

* وروى الشيخ الكليني عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال : لا تملوا من قراءة إذا زلزلت الأرض زلزالها فإنه من كانت قراءته بها في نوافله لم يصبه الله

---

(١) هكذا وردت الصلاة في البلد الأمين للكفعمي / ١٦٨ وهامش مصباح المتهجد للطوسي / ٧٣٤ إلا أن المؤلف أورد بالفارسية ما ترجمته : « الحمد مرة والتوحيد ثلاثاً والفلق والناس الخ » .

(٢) الباقيات الصالحات بهامش مفاتيح الجنان ١٩٧ ـ ١٩٨ .

(٣) أورده المؤلف في سفينة البحار (موت) ١ / ٥٥٥ عن دعوات الراوندي عن الإمام الصادق عليه السلام .

عزَّ وجلَّ بزلزلة أبداً ولم يمت بها ولا بصاعقة ولا بآفة من آفات الدنيا حتى يموت وإذا مات نزل عليه ملك كريم من عند ربه فيقعد عند رأسه فيقول : يا ملك الموت إرفق بولي الله فإنه كان كثيراً ما يذكرني الخ . . »[1] .

(١) أصول الكافي ـ باب فضل القرآن رقم ٢٤ .

العقبة الثانية

العديلة عند الموت

* ورد في الأدعية المأثورة « اللّهم إني أعوذ بك من العديلة عند الموت » ومعنى العديلة عند الموت هو العدول إلى الباطل عن الحق وهو بأن يحضر الشيطان عند المحتضر ويوسوس في صدره ويجعله يشك في دينه ليخرجه من الإيمان ولهذا ورد في الأدعية الإستعاذة من العديلة .

١ ـ قال فخر المحققين : من أراد أن يسلم من العديلة فليستحضر الإيمان بأدلته والأصول الخمسة ببراهينها القطعية بإخلاص وصفاء وليودعها الله تعالى ليردها إليه في ساعة الإحتضار ويقول بعد استحضاره عقائده الصحيحة :

اللّهم يا أرحم الراحمين إني قد أودعتك يقيني هذا وثبات ديني وأنت خير مستودع وقد أمرتنا بحفظ الودائع فرده عليَّ وقت حضور موتي .

* إذن بناء على ما ذكره ذلك العظيم فقراءة دعاء العديلة المعروف[١] واستحضار معناه في الخاطر نافع للأمان من خطر العديلة عند الموت[٢] .

٢ ـ دعاء عن الإمام الصادق عليه السلام

* روى الشيخ الطوسي عليه الرحمة عن محمد بن سليمان الديلمي أنه قال

---

(١) مفاتيح الجنان / ٨٤ .
(٢) نفس المصدر ٨٥ / ٨٦ بتصرف يسير .

للإمام الصادق عليه السلام إن شيعتكم يقولون إن الإيمان قسمان أحدهما مستقر وثابت والآخر مستودع ويزول[1] فعلمني دعاءً إذا قرأته كمل إيماني واستقر فقال عليه السلام : **قل بعد كل فريضة : « رضيت بالله رباً وبمحمد صلى الله عليه وآله نبياً وبالإسلام ديناً وبالقرآن كتاباً وبالكعبة قبلة وبعلي ولياً وإماماً وبالحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي والحجة بن الحسن صلوات الله عليهم اللهم إني رضيت بهم أئمة فارضني لهم إنك على كل شيء قدير .**

٣ ـ ومن الأمور النافعة لهذه العقبة المواظبة على أوقات الصلوات الواجبة ، وفي حديث يقول ملك الموت :

(. . . إنه ليس في شرقها ولا في غربها أهل بيت مدر ولا وبر إلا وأنا أتصفحهم في كل يوم خمس مرات ولأنا أعلم بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم(. . . .) .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

إنما يتصفحهم في مواقيت الصلاة فإن كان ممن يواظب عليها عند مواقيتها لقنه شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ونحى عنه ملك الموت إبليس[2].

٤ ـ ٥ ـ ٦ ـ عدم بذل نعم الله في معاصيه وعدم الإغترار بحلم الله وإكرام كل من يذكر أهل البيت أو ينتحل مودتهم .

كتب الإمام الصادق عليه السلام إلى بعض الناس :

« إن أردت أن يختم بخير عملك حتى تقبض وأنت في أفضل الأعمال فعظم

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون ﴾ .

(٢) بحار الأنوار : ٦ / ١٦٩ ـ ١٧٠ .

لله حقه في آن تبذل نعماءه في معاصيه وأن تغتر بحلمه عنك وأكرم كل من وجدته يذكرنا أو ينتحل مودتنا ثم ليس عليك صادقاً كان أو كاذباً إنما لك نيتك وعلي كذبه »[1] .

* يقول الفقير : ومن النافع في حسن العاقبة والوصول من الشقاء إلى السعادة :

٧ ـ قراءة الدعاء الحادي عشر من الصحيفة الكاملة (السجادية) يا من ذكره شرف للذاكرين الخ .

٨ ـ وقراءة دعاء التمجيد المذكور في الكافي وغيره[2] وقد أوردته في كتاب الباقيات الصالحات بعد أدعية الساعات .

٩ ـ والإتيان بالصلاة الواردة في يوم الأحد من ذي القعدة[3] .

١٠ ـ المواظبة على هذا الذكر الشريف : ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .

١١ ـ الموظبة على تسبيح الزهراء عليها السلام .

١٢ ـ التختم بالعقيق خصوصاً العقيق الأحمر وخصوصاً إذا كان قد نقش عليه محمد نبي الله وعلي ولي الله .

١٣ ـ قراءة سورة قد أفلح المؤمنون في كل جمعة .

١٤ ـ أن يقرأ بعد صلاة الصبح وصلاة المغرب سبعاً : بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

١٥ ـ صلاة ثمان ركعات ليلة الثاني والعشرين من رجب يقرأ في كل منها الحمد مرة وقل يا أيها الكافرون سبعاً وبعد الفراغ يصلي على النبي صلى الله عليه

---

(١) سفينة البحار للمؤلف ١ / ٣٧٦ (ختم) .

(٢) الكافي : ٢ / باب ما يمجد به الرب تبارك وتعالى نفسه وتجد قول الإمام الصادق عليه السلام عمن دعى بهذا الدعاء (ولو كان شقياً رجوت أن يحول سعيداً » .

(٣) المراقبات لآية الله ملكي تبريزي / ١٨٧ ومفاتيح الجنان / ٢٤٧ .

وآله عشراً ويستغفر الله عشراً .

١٦ ـ وروى السيد بن طاووس عن رسول الله صلى الله عليه وآله أن من صلى ليلة السادس من شعبان أربع ركعات يقرأ في كل ركعة الحمد مرة والتوحيد خمسين مرة قبض الله روحه على السعادة ووسع عليه في قبره ويخرج من قبره ووجهه كالقمر وهو يقول : أشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً عبده ورسوله [١] .

* يقول المؤلف : هذه الصلاة بعينها هي صلاة أمير المؤمنين عليه السلام وثوابها كبير [٢] وقد رأيت من المناسب هنا إيراد قصتين :

* القصة الأولى . . .

* كان الفضيل بن عياض [٣] أحد رجال الطريقة (في العبادة) وكان له تلميذ يعتبر أعلم تلامذته . .

وذات يوم مرض التلميذ . . واشتد مرضه . . ووصل الأمر به إلى النزع والإحتضار . .

وجاء الفضيل فجلس عند رأسه وأخذ يقرأ سورة يس . . فإذا بذلك التلميذ المحتضر يقول له : لا تقرأ هذه السورة . .

واستجاب الأستاذ وتوقف عن القراءة . . وقال لتلميذه :

قل : لا إله إلا الله .

قال : لا أقولها لأني أكرهها (والعياذ بالله) ثم مات على هذه الحال . .

فعجب الفضيل من ذلك ومضى إلى منزله ولم يخرج منه وفي الليل رأى

---

(١) أدعية الأشهر المعظمة رجب ، شعبان ، رمضان / ٥٨٧ نقلاً عن مفتاح الجنات عن الإقبال .

(٢) مفاتيح الجنان أعمال نهار الجمعة .

(٣) في كشكول الشيخ البهائي ٢ / ٢٥ : قال هارون الرشيد للفضيل بن عياض ما أشد زهدك فقال يا أمير المؤمنين أنت أزهد مني لأني زهدت في فان لا يبقى وزهدت في باق لا يفنى .

تلميذه في المنام وهو يسحب إلى جهنم . .

قال له الفضيل : كنت أعلم تلامذتي فماذا جرى حتى سلبك الله المعرفة وختم لك بسوء العاقبة ؟ قال : سبب ذلك ثلاثة أمور :

الأول : إني كنت نماماً . .

الثاني : أني كنت حسوداً .

الثالث : أني كنت أشرب الخمر وذلك بسبب مرض كان فيّ وقد أوصاني الطبيب بشرب قدح من الخمر في كل عام وقال : إن لم تشرب ذلك فلا شفاء لعلتك ، هذه الأمور الثلاثة كانت السبب في سوء عاقبتي .

* * *

* يقول المؤلف :

رأيت من المناسب أن أورد في سياق هذه القصة هذه الروايه التي رواها الشيخ الكليني عن أبي بصير قال :

* دخلت أم خالد المعبدية على أبي عبد الله (الصادق) عليه السلام وأنا عنده فقالت جعلت فداك إنه يعتريني قراقر في بطني وقد وصف لي أطباء العراق النبيذ بالسويق وقد وقفت وعرفت كراهتك له فأحببت أن أسألك عن ذلك فقال لها : ما يمنعك عن شربه قالت قد قلدتك ديني فألقى الله عزَّ وجلَّ حين ألقاه فأخبره أن جعفر بن محمد عليه السلام أمرني ونهاني . . فقال : يا أبا محمد ألا تسمع إلى هذه المرأة وهذه المسائل . . لا والله لا آذن لك في قطره منه فإنما تندمين إذا بلغت نفسك ههنا وأومى بيده إلى حنجرته يقولها ثلاثاً أفهمت . . . » [1] .

* * *

---

(١) سفينة البحار (خلد) ١ / ٤٠٧ ـ ٤٠٨ والطرائق الفاخرة ١ / ٣٠٩ عن الوسائل ١٧ / ٢٧٤ إلا أن فيه « أم خالد العبدية » .

* القصة الثانية . . .

* قال الشيخ البهائي عطر الله مرقده . . في « الكشكول » : احتضر بعض المسرفين (المذنبين) وكان كلما قيل له قل لا إله إلاّ الله يقول هذا البيت :

يا رب قائلة يوماً وقد تعبت　　　أين الطريق إلى حمام منجاب

وسبب ذلك أن امرأة عفيفة حسناء خرجت يوماً إلى حمام معروف بحمام منجاب فلم تعرف طريقه وتعبت من المشي فرأت رجلاً على باب داره فسألته عن الحمام فقال هو هذا وأشار إلى باب داره فلما دخلت أغلق الباب عليها فلما عرفت بمكره أظهرت كمال السرور والرغبة وقالت له اشتر لنا شيئاً من الطيب وشيئاً من الطعام وعجل العود إلينا فلما خرج واثقاً بها وبرغبتها خرجت وتخلصت منه . . .

فانظر كيف منعته هذه الخطيئة عن الإقرار بالشهادة عند الموت مع أنه لم يصدر منه إلا إدخال المرأة بيته وعزمه على الزنا فقط من غير وقوعه منه [1] .

* * *

* واعلم أن الشيخ الكليني روى عن الإمام الصادق :

من منع قيراطاً من الزكاة فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً [2] .

يقول الفقير : القيراط : واحد وعشرون ديناراً[3] وقد ورد (في الروايات) هذا المضمون حول من استطاع الحج ولم يحج حتى مات .

---

(١) الكشكول : ١ / ٣٠٦ .
(٢) سفينة البحار (زكا) ١ / ٥٥١ .
(٣) يبدو أن المراد جزء من واحد وعشرين من الدينار . فقد ذكر المؤلف رحمه الله في سفينة البحار نقلاً عن بعضهم : القيراط جزء من أجزاء الدينار (المعروف) وهو نصف عشرة في أكثر البلاد وأهل الشام يجعلونه جزءاً من أربع وعشرين .

* * *

* وقـد نقل عن بعض العـارفين أنـه كان حـاضراً عنـد محتضر فـطلب منـه الحاضرون أن يلقنه فلقنـه هذين البيتـين : « إذا كنت أنا المـذنب قد ظلمت جميع العالم فإن الأمل أن يأخذ لطفك بيدي » «أنت تقول إنك تأخذ بيدي عندمـا أعجز فلا تتوقع أن أكون أعجز مما أنا عليه الآن » .

* * *

الفصل الثاني

المنزل الثاني :

القبر

العقبة الأولى :

وحشة القبر

أحد المنازل المهولة في سفر الآخرة . . القبر
الذي يقول في كل يوم :
أنا بيت الغربة ، أنا بيت الوحشة
أنا بيت الدود . . . [1]
ولهذا المنزل عقبات كثيرة صعبة ومحطات مرعبة . . ونحن نشير هنا إلى عدة عقبات منها . .

---

(١) بحار الأنوار : ٦ / ٢٦٧ .

* في كتاب من لا يحضره الفقيه :

وإذا حمل الميت إلى قبره فلا يفاجأ به القبر (أي لا يدخل إلى القبر مباشرة وفجأة) لأن للقبر أهوالاً عظيمة ويتعوذ حامله بالله من هول المطلع ويضعه قرب شفير القبر (حافته) ويصبر عليه هُنَيْئةً ليأخذ أهبته ثم يقدمه إلى شفير القبر[١] .

* قال المجلسي الأول في شرح ذلك :

رغم أن الروح فارقت البدن ورغم أن الروح الحيوانية ماتت إلا أن النفس الناطقة حية ولم يزل تماماً تعلقها بالبدن ولذلك فالخوف من ضغطة القبر وسؤال منكر ونكير ورومان فتان القبور وعذاب البرزخ ، موجود . . إضافة إلى ما في ذلك من عبرة للآخرين (الأحياء) ليفكروا بأن أمامهم أمراً كهذا .

* وفي حديث حسن عن يونس قال :

« حديث سمعته عن أبي الحسن موسى عليه السلام ما ذكرته وأنا في بيت إلا ضاق علي يقول : إذا أتيت بالميت إلى شفير القبر فأمهله ساعة فإنه يأخذ أهبته للسؤال »[٢] . وروي عن البراء بن عازب وهو من معروفي الصحابة أنه قال : كنا

---

(١) من لا يحضره الفقيه ١ / ١٧٠ وفي البحار ٨٢ / ٢٨ رواية تكاد عباراتها تتحد مع هذا النص وفيها بدل فلا يفجأ به القبر « فلا تفدح به القبر » وفي مستدرك الوسائل ج ١ / ١٢٢ « فلا تفاجيء به فإن للقبر . . » الخ .

(٢) وسائل الشيعة ٢ / ٨٣٨ .

عند رسول الله صلى الله عليه وآله فرأى جماعة في مكان قريب . . فسأل : علام اجتمعوا فقلنا على قبر . .

وعندما سمع صلى الله عليه وآله ذكر القبر أسرع في الذهاب نحوه ثم جلس بجواره على ركبتيه . . فوقفت أنا في الطرف المقابل لوجهه صلى الله عليه وآله لأنظر ما يصنع « فبكى حتى بلت دموعه الثوب ثم قال :

« **يا إخواني لمثل هذا اليوم فاستعدوا** »[1] .

* ونقل الشيخ البهائي : تحسَّرَ بعض الحكماء عند موته فقيل : ما بك ؟ فقال : ما ظنكم بمن يقطع سفراً طويلاً بلا زاد ويسكن قبراً موحشاً بلا مؤنس ، ويقدم على حكم عدل بلا حجة[2] .

وروى « القطب الراوندي » أن عيسى عليه السلام نادى أمه مريم عليها السلام بعد وفاتها « **فقال يا أماه هل تريدن أن ترجعي إلى الدنيا قالت نعم لأصلي لله في ليلة شديدة البرد وأصوم يوماً شديد الحر يا بني فإن الطريق مخوف** »[3] .

وروي أن فاطمة عليها السلام « لما احتضرت أوصت علياً عليه السلام فقالت : « **إذا أنامت فتول أنت غسلي وجهزني وصل علي وأنزلني في قبري والحدني وسو التراب علي واجلس عند رأسي قبالة وجهي فأكثر من تلاوة القرآن والدعاء فإنها ساعة يحتاج الميت فيها إلى أنس الأحياء**[7] .

وروى السيد بن طاووس عن رسول الله صلى الله عليه وآله : « **لا يأتي على الميت ساعة أشد من أول ليلة فارحموا موتاكم بالصدقة فإن لم تجدوا فليصل أحدكم ركعتين يقرأ في الأولى بفاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد مرتين وفي الثانية فاتحة**

(١) القسم الأول من النص منقول بالمضمون والقسم الثاني عن روضة الواعظين ٤٩٤ بتصرف يسير .
(٢) الكشكول : ٢ / ٢٤ .
(٣) مستدرك الوسائل : ١ / ٥٩١ عن لب اللباب للقطب الراوندي .
(٤) المصدر السابق : ١ / ١٤٨ نقلاً عن البحار .

الكتاب مرة وألهاكم التكاثر عشر مرات ويسلم ويقول : اللهم صلى على محمد وآل محمد وابعث ثوابها إلى قبر ذلك الميت فلان بن فلان فيبعث الله من ساعته ألف ملك إلى قبره مع كل ملك ثوب وحلة ويوسع في قبره من الضيق إلى يوم ينفخ في الصور ويعطى المصلي بعدد ما طلعت عليه الشمس حسنات وترفع له أربعون درجة[1]

* صلاة أخرى لرفع وحشة الليلة الأولى في القبر :

يصلي ركعتين يقرأ في الأولى الحمد وآية الكرسي مرة وفي الركعة الثانية الحمد مرة وإنا أنزلناه عشراً فإذا سلم قال : اللّهم صل على محمد وآل محمد وابعث ثوابها إلى قبر فلان ويذكر بدل فلان اسم الميت .

* حكى شيخنا ثقة الإسلام النوري نور الله مرقده في « دار السلام » عن شيخه معدن الفضائل والمعالي مولانا الشيخ فتحعلي السلطان آبادي عطر الله مضجعه أنه قال :

كانت عادتي أني كلما سمعت خبر وفاة شخص من محبي أهل البيت عليهم السلام أصلي له ركعتين ليلة دفنه سواءً كنت أعرفه أم لا ولم يكن أحد يعرف أني أفعل ذلك . .

وذات يوم التقيت في الطريق بأحد أصدقائي فقال : رأيت البارحة في المنام فلاناً الذي توفي في هذه الأيام فسألته عن حاله وعما جرى له بعد الوفاة فقال : كنت في شدة وبلاء . . وقد حكم علي بالعقاب . . . إلا أن الركعتين اللتين صلاهما فلان ـ وذكر اسمك ـ خلصاني من العذاب رحم الله والديه على هذا الإحسان الذي أحسنه إلي .

قال السلطان آبادي : ثم سألني صديقي عن الصلاة التي صليتها فأخبرته بعادتي المستمرة تجاه الأموات[2] .

---

(١) مستدرك الوسائل : ١ / ٤٦٩ .

(٢) دار السلام : ٢ / ٣١٥ بتصرف وليس في المصدر ذكر لطريقته في صلاة الهدية .

* **ومن الأمور النافعة لوحشة القبر :**

١ ـ روي عن الإمام الباقر عليه السلام : من أتم ركوعه لم تدخله وحشة القبر .

٢ ـ وأيضاً من قال في كل يوم مائة مرة لا إله إلّا الله الملك الحق المبين كان له أمان من الفقر ومن وحشة القبر واستجلب الغنى وفتحت له أبواب الجنة كما ورد في الخبر [1] .

٣ ـ وأيضاً أن يقرأ سورة يس قبل أن ينام .

٤ ـ وأن يصلي صلاة ليلة الرغائب وقد ذكرتها مشيراً إلى بعض ثوابها في مفاتيح الجنان في أعمال شهر رجب .

٥ ـ وروي أن « من صام اثني عشر يوماً من شعبان زاره في قبره كل يوم سبعون ألف ملك إلى النفخ في الصور » [2] .

٦ ـ ومن عاد مريضاً (زاره) وكل الله تعالى به « ملكاً يعوده في قبره إلى محشره » [3] .

* وروي عن أبي سعيد الخدري :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لعلي : « **يا علي أبشر وبشّر فليس على شيعتك حسرة عند الموت ولا وحشة في القبور ولا حزن يوم**

---

(١) هذا هو لفظ الخبر عن المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم كما أورده المؤلف في سفينة البحار (قبر) ٢ / ٣٩٧ .

(٢) ثواب الأعمال وعقاب الأعمال للصدوق / ٨٧ .

(٣) المصدر السابق / ٢٣١ .

النشور . . . »[1][2] . .

---

(١) بحار الأنوار : ٧ / ١٩٨ وتتمة الحديث : ولكأني بهم يخرجون من جدث القبور ينفضون التراب عن رؤوسهم ولحاهم يقولون : الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور الذي احلّنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب » وفي بحار الأنوار ٣٩ / ٢٢٨ نقلاً عن كتاب تاريخ بغداد مسنداً إلى عائشة قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام : حسبك ما لمحبك حسرة عند موته ولا وحشة في قبره ولا فزع يوم القيامة .

(٢) ذكر المؤلف رحمه الله في هامش هذه الرواية :

قال الفرزدق :

أخاف وراء القبر إن لم يعافني ... أشد من القبر التهاباً وأضيقا
إذا جاء في يوم القيامة قائدٌ ... عنيف وسواق يسوق الفرزدقا
فقد خاب من أولاد آدم من مشى ... إلى النار مغلول القلادة أزرقا

وكان في النسخة المطبوعة اضطراب في الأبيات فضبطتها على ما في روضة الواعظين ٤٩٤ / وتجد فيه أن الحسن البصري قال للفرزدق في تشييع زوجته النوار : ما أعددت لهذا اليوم يا أبا فراس قال شهادة ألا إله إلا الله منذ ثمانين سنة فلما دفنت قام على قبرها فقال . . الخ .

العقبة الثانية في القبر

ضَغْطة القبر

وهي عقبة صعبة جداً تذكُّرها يضيق الدنيا على الإنسان .

قال أمير المؤمنين عليه السلام :

يـا عباد الله مـا بعـد الموت لمن لا يغفـر لـه أشـد من المـوت . . القـبر . . فاحذروا ضيقه وضنكه وظلمته وغربته . .

إن القبر يقول كل يوم :

أنا بيت الغربة أنا بيت الوحشة

أنا بيت الدود

القبر روضة من رياض الجنة

أو حفرة من حفر النار إلى أن قال :

وإن المعيشـة الضنك التي حـذر الله منها عـدوه عذاب القـبر إنه يسلط عـلى الكافر في قبره تسعة وتسعين تنيناً فينهشن لحمه ويكسـرن عظمه يترددن عليه كذلك إلى يوم يبعث[1] لو أن تنيناً منها نفخ في الأرض لم تنبت زرعاً . .

يـا عباد الله إن أنفسكم الضعيفـة وأجسادكم النـاعمة الـرقيقة التي يكفيهـا

---

(١) ذكـر المؤلف رحمه الله في الهـامش هنا أن في مصبـاح الكفعمي : من أكثر من ذكـر اسم الله تعـالى (الباريء) يبقى بـه في قبره (انتهى) . والـظاهر أن المـراد أنه يسلم بـه فلا تغـيره الأرض .

اليسير تضعف عن هذا .

* وروي أن الإمام الصادق عليه السلام كان يرفع صوته بحيث يسمعه من في البيت . . عندما ينهض من النوم آخر الليل فيقول :

اللَّهم أعني على هول المطلع[1] ووسع علي ضيق المضجع وارزقني خير ما قبل الموت وارزقني خير ما بعد الموت . .

ومن أدعيته عليه السلام :

اللَّهم بارك لي في الموت اللَّهم أعني على سكرات الموت اللَّهم أعني على غم القبر اللَّهم أعني على ضيق القبر اللَّهم أعني على ظلمة القبر اللَّهم أعني على وحشة القبر اللَّهم زوجني من الحور العين .

* إعلم أن عمدة عذاب القبر من عدم الإحتراز من البول **والإستخفاف به** أي عدم الإهتمام بالطهارة منه . وكذلك **من النميمة والغيبة وابتعاد الرجل عن زوجته**[2] .

ويستفاد من رواية سعد بن معاذ أن سوء خلق الرجل مع أهله وإسماعهم ما يكرهون أي الإغلاظ لهم في الكلام أيضاً سبب لضغطة القبر وفي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام : « . . . إنه ليس من مؤمن إلا وله ضمة (أي ضغطة)[3] .

وفي رواية أخرى : ضغطة القبر للمؤمن كفارة لما كان منه من تضييع

---

(١) هول المطلع بضم الميم وتشديد الطاء قال في تفسيره العلامة المجلسي رحمه الله : قال الجزري المطلع : مكان الإطلاع من الموضع العالي والمراد به الموقف يوم القيامة أو ما يشرف عليه من أمر الآخرة عقيب الموت فشبهه بالمطلع الذي يشرف عليه من موضع عالٍ .
البحار : ٦ / ٢٤٤ ومن الواضح أن المعنى الثاني (عقيب الموت) هو المنسجم مع هذه الرواية .

(٢) في البحار : ٦ / ٢٢٢ عن علي عليه السلام : عذاب القبر يكون من النميمة والبول وعزب الرجل عن أهله .

(٣) البحار ٦ / ٢٢١ .

النعم [1] .

* وروى الشيخ الصدوق رحمه الله عن الإمام الصادق عليه السلام :

أقعد رجل من الأخيار في قبره فقيل له :

إنا جالدوك مائة جلدة من عذاب الله .

فقال : لا أطيقها . .

فلم يزالوا به حتى انتهوا إلى جلدة واحدة فقالوا : ليس منها بد . .

قال : فبما تجلدونيها ؟

قالوا : نجلدك لأنك صليت يوماً بغير وضوء ومررت على ضعيف فلم تنصره .

قال : فجلدوه جلدة من عذاب الله عزَّ وجلَّ فامتلأ قبره ناراً [2] .

وأيضاً روي عنه عليه السلام : أيما مؤمن سأله أخوه المؤمن حاجة وهو يقدر على قضائها ولم يقضها له سلَّط الله عليه شجاعاً في قبره ينهش أصابعه وفي رواية أخرى ينهش إبهامه في قبره إلى يوم القيامة مغفوراً له أو معذباً [3] .

(١ ، ٢) نفس المصدر السابق .

(٣) سفينة البحار : ١ / ٣٥٢ (حوج) .

ما ينجي من ضغطة القبر وعذابه

*** ما ينجي من ضغطة القبر وعذابه . . .**

* ونحن نكتفي هنا بذكر خمسة عشر أمراً[1] .

الأول : قراءة سورة النساء كل جمعة .

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام : من قرأ سورة النساء في كل جمعة أمِنَ من ضغطة القبر[2] .

الثاني : إدمان قراءة الزخرف .

روي (عن الإمام الباقر عليه السلام) أن : من أدمن قراءة حم الزخرف ، آمنه الله في قبره من هوام الأرض وضغطة القبر . . . »[3] .

الثالث : قراءة « نون والقلم » في الصلاة .

---

(١) لا يخفى أنه قد وردت أمور أخرى للنجاة من عذاب القبر غير ما سيذكر كقراءة الدعاء المعروف بالصحيفة والدعاء الكاظمي المستجاب وكلاهما مذكوران في البلد الأمين وقراءة دعاء يستشير ثلاث مرات . ووضع الدعاء الحميد في الكفن للكفاية من منكر ونكير (المؤلف) .
دعاء الصحيفة في البلد الأمين / ٣٦٤ والدعاء المستجاب المروي عن الإمام الكاظم عليه السلام / ٣٨٩ . ودعاء يستشير في مفاتيح الجنان / ٧٨ والدعاء الحميد أوله أللّهم إنك حميد مجيد الخ . أورده صاحب مستدرك الوسائل ١ / ١٠٩ وفي البلد الأمين / ٣٥٠ .

(٢) ثواب الأعمال / ١٣١ .

(٣) نفس المصدر / ١٤١ .

روي عن (الإمام الصادق عليه السلام) من قرأ سورة ن والقلم في فريضة أو نافلة آمنه الله عزّ وجلّ من أن يصيبه فقر أبداً وأعاذه الله إذا مات من ضمة القبر[1] .

الرابع : الوفاة بين زوالي الخميس والجمعة :

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال : من مات ما بين زوال الشمس من يوم الخميس إلى زوال الشمس من يوم الجمعة أعاذه الله من ضغطة القبر[2] .

الخامس : صلاة الليل .

روي عن الإمام الرضا عليه السلام :

عليكم بصلاة الليل فما من عبد يقوم آخر الليل فيصلي ثماني ركعات وركعتي الشفع وركعة الوتر واستغفر الله في قنوته سبعين مرة إلا أجير من عذاب القبر ومن عذاب النار ومد له في عمره ووسع عليه في معيشته[3] .

السادس : قراءة « التكاثر » عند النوم .

روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : من قرأ ألهاكم التكاثر عند النوم وقي فتنة القبر[4] (عذاب القبر) .

السابع : قراءة هذا الدعاء عشر مرات يومياً وهو : أعددت لكل هولٍ لا إله إلا الله الخ وقد تقدم في عقبة سكرات الموت .

الثامن : الدفن في النجف الأشرف .

لأن من خواص تلك التربة الشريفة أنها تسقط عذاب القبر وحساب منكر ونكير عمن يدفن فيها .

---

(١) نفس المصدر / ١٤٧ .
(٢) نفس المصدر / ٢٣١ .
(٣) مستدرك الوسائل : ١ / ٤٦٧ .
(٤) البلد الأمين / ٣٤ وثواب الأعمال / ١٥٣ .

التاسع : الجريدتان .

من الأمور النافعة في رفع العذاب وضع جريدتين أي عودين طريين مع الميت وروي أنه يرفع العذاب عن الميت ما داما طريين[١] . . كما روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله مر بقبر وكان صاحبه يعذب فطلب صلى الله عليه وآله وسلم جريدة أي غصن شجرة أزيلت أوراقه فقسمه نصفين وركز أحدهما في الأرض عند رأس الميت والآخر عند رجليه . .[٢] .

ومن النافع أيضاً رش الماء على القبر حيث ورد أنه يرفع عذاب القبر بذلك عن الميت ما دام تراب القبر رطباً[٣] .

العاشر : صلاة أول رجب .

أن يصلي في اليوم الأول من رجب عشر ركعات يقرأ في كل منها الحمد مرة والتوحيد ثلاثاً ليأمن فتنة القبر وعذاب يوم القيامة . . . كما أن صلاة عشرين ركعة في الليلة الأولى من رجب بالحمد والتوحيد نافعة لرفع عذاب القبر[٤] .

الحادي عشر :

صيام أربعة أيام من شهر رجب وكذلك صوم اثني عشر يوماً من شعبان[٥] .

الثاني عشر : سورة تبارك (الملك) .

من الأمور التي تنجي من عذاب القبر قراءة سورة الملك على قبر الميت كما

---

(١) مستدرك الوسائل : ١ / ١٠٥ عدة أحاديث حول الجريدتين .

(٢) في نفس المصدر حديث مشابه .

(٣) عدة أحاديث حول ذلك في المصدر السابق ١ / ١٢٥ تحت عنوان : باب استحباب رش القبر بالماء مستقبلاً من عند الرؤوس دوراً ثم على وسطه وتكرار الرش أربعين يوماً .

(٤) ذكرها المؤلف في مفاتيح الجنان / ١٤٢ ومن الصلوات المنجية من عذاب القبر صلاة الليلة الأولى من رجب / مفاتيح الجنان / ١٤٠ وصلاة ليلة النصف من رجب / مستدرك الوسائل ١ / ٤٥٧ .

(٥) ثواب الأعمال : ٧٧ و ٨٧ .

روي الراوندي عن ابن عباس « أن رجلاً ضرب خباءه على قبر ولم يعلم أنه قبر فقرأ « تبارك الذي بيده الملك » فسمع صائحاً يقول : هي المنجية فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله فقال : هي المنجية من عذاب القبر »[1] .

وروى الكليني عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال :

« سورة الملك هي المانعة تمنع من عذاب القبر . . . »[2] .

الثالث عشر دعاء عند الدفن :

نقل عن دعوات الراوندي أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « ما من أحد يقول عند قبر ميت إذا دفن ثلاث مرات اللّهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد أن لا تعذب هذا الميت » إلا رفع الله عنه العذاب إلى يوم ينفخ في الصور »[3] .

الرابع عشر : ركعتان ليلة الجمعة .

روى الشيخ الطوسي في مصباح المتهجد عن رسول الله صلى الله عليه وآله « من صلى ليلة الجمعة ركعتين يقرأ فيهما بفاتحة الكتاب وإذا زلزلت الأرض زلزالها خمس عشر مرة آمنه الله من عذاب القبر ومن أهوال يوم القيامة[4] .

الخامس عشر : عدة صلوات

ومن النافع أيضاً لرفع عذاب القبر صلاة ثلاثين ركعة ليلة النصف من رجب في كل ركعة الحمد مرة والتوحيد عشراً[5] .

وكذلك ليلة السادس عشر والسابع عشر من رجب[6] وصلاة مائة ركعة في

---

(١) دعوات الراوندي / ٢٧٩ .

(٢) أصول الكافي : ٢ / ٦٣٣ .

(٣) الدعوات / ٢٧٠ .

(٤) مصباح المتهجد / ٢٢٨ .

(٥) مستدرك الوسائل : ١ / ٤٥٧ ومفاتيح الجنان / ١٤٣ .

(٦) ذكر ذلك الكفعمي في البلد الأمين وأورد في ثواب هذه الصلاة : « . . ويرفع عنه عذاب القبر » إلا أنه قال عن الثلاثين ركعة إنها بالحمد مرة والتوحيد إحدى عشر مرة فلاحظ .

الليلة الأولى من شعبان بالحمد والتوحيد[1] .

وصلاة ركعتين ليلة الرابع والعشرين من شعبان في كل ركعة الحمد مرة وإذا جاء نصر الله والفتح عشراً[2] .

وقد وردت صلاة يوم النصف من رجب خمسين ركعة بالحمد والتوحيد والفلق والناس وأنها نافعة لرفع عذاب القبر كصلاة مائة ركعة ليلة عاشوراء[3] .

---

(١) المصدر السابق / ١٧٢ وأضاف يقرأ بعد التسليم الفاتحة خمسين مرة .

(٢) نفس المصدر : ١٧٣ .

(٣) تجد صلاة عاشوراء في مستدرك الوسائل ١ / ٤٧٦ بصيغتين إحداهما : مائة ركعة بالحمد مرة والتوحيد ثلاثاً ، والثانية مائة ركعة بالحمد مائة والتوحيد مائة في كل ركعة ، وهناك أذكار تقال بعدها ودعاء طويل .

العقبة الثالثة

سؤال منكر ونكير

* روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال :

« من أنكر ثلاثة أشياء فليس من شيعتنا : المعراج والمساءلة في القبر والشفاعة »[1] .

* وروي أن الملكين (منكراً ونكيراً) يأتيان بصورة مهولة أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف فيسألانه من ربك ؟ ومن نبيك ؟ وما دينك ؟ ويسألانه أيضاً عن وليه وإمامه[2] وحيث أن الجواب في تلك الحال صعب على الميت وهو محتاج للمساعدة . . فقد كان من الطبيعي أن يلقن الشهادة مرتين :

* **الأولى** : عند وضعه في القبر والأفضل أن يمسك كتفه الأيمن باليد اليمنى وكتفه الأيسر باليد اليسرى ويحرك ويلقن على هذه الحال[3] .

* **الثانية** : بعد الدفن حيث يستحب أن يتخلف أقرب ذويه بعد أن ينصرف الناس فيجلس عند رأس الميت ويلقنه (الشهادتين والعقائد) بصوت

---

(١) بحار الأنوار : ٦ / ٢٢٣ .

(٢) الروايات في ذلك كثيرة لاحظ المصدر السابق ٢٢٥ و/٢٣٣ .

(٣) روى الشيخ الصدوق رضوان الله عليه عن الإمام الصادق عليه السلام ثم تدخل يدك اليمنى تحت منكبه الأيمن وتضع يدك اليسرى على منكبه الأيسر وتحركه تحريكاً شديداً وتقول يا فلان بن فلان الله ربك ومحمد نبيك الخ . من لا يحضره الفقيه ١ / ١٧٢ .

عالٍ . . وينبغي أن يضع كفيه على القبر ويدني فمه من القبر . . وإذا كلف أحداً أن يقوم بذلك نيابة عنه فلا بأس به[1] وقد روي أن الميت إذا لقن بهذه الطريقة قال منكر لنكير : انصرف بنا . . فقد لُقِّن هذا حجته . . فينصرفان . . ولا يسألانه[2] . .

* وفي كتاب من لا يحضره الفقيه :

ولما مات ذر بن أبي ذر رحمة الله عليه وقف أبو ذر على قبره فمسح القبر بيده ثم قال :

رحمك الله يا ذر والله إن كنت بي لَبَرّاً ولقد قبضت وإني عنك لراضٍ ، والله ما بي فقدك وما عليَّ من غضاضة ومالي إلى أحد سوى الله من حاجة ، ولولا هول المطّلع[3] لسرني أن أكون مكانك ، ولقد شغلني الحزن لك عن الحزن عليك[4] ، والله ما بكيت لك ولكن بكيت عليك ، فليت شعري ما قلت وما قيل لك ؟

اللّهم إني قد وهبت له ما افترضت عليه من حقي فهب له ما افترضت عليه من حقك فأنت أحق بالجود مني والكرم[5] .

ومعنى قوله : شغلني الحزن لك عن الحزن عليك : لقد كنتُ مشغولاً بالعبادات والطاعات النافعة لك مما حال بيني وبين الحزن على فراقك .

* وروي عن الإمام الصادق عليه السلام :

إذا دخل المؤمن قبره كانت الصلاة عن يمينه والزكاة عن يساره والبِرُّ مُطِلٌّ

---

(١) مصباح المتهجد / ٢١ .
(٢) من لا يحضره الفقيه ١ / ١٧٣ .
(٣) المطلع المكان العالي الذي يطلع منه الإنسان على ما حوله ويراد به عادة سكرات الموت لإشرافها على الدنيا والآخرة . . أو حيث تشاهد أهوال القيامة .
(٤) أي حزنت خشية عليك من أهوال الموت فحزني لك ولم أحزن على فراقك فهو إرادة الله تعالى . .
وبهذا يتضح معنى الفقرة التالية ، وتفسير المؤلف رحمه الله لا يتنافى مع ما ذكر بل هو مزيد إيضاح مهم .
(٥) من لا يحضره الفقيه : ١ / ١٨٥ - ١٨٦ .

عليه . . قال : فيتنحّى الصبر ناحية ، فإذا دخل عليه الملكان اللذان يا .ان مساءلته قال الصبر للصلاة والزكاة : دونكما صاحبكم فإن عجزتم عنه فأنادونه [1] .

* وروى العلامة المجلسي في المحاسن بسند صحيح عنه عليه السلام أو عن الإمام الباقر عليه السلام قال : إذا مات العبد المؤمن دخل معه في قبره سسه صور ، فيهن صورة أحسنهن وجهاً وأبهاهن هيئة وأطيبهن ريحاً وأنظفهن صورة . . قال : فتقف صورة عن يمينه وأخرى عن يساره وأخرى بين يديه وأخرى خلفه وأخرى عند رجله وتقف التي هي أحسنهن فوق رأسه فإن أتي عن يمينه منعته التي عن يمينه ثم كذلك إلى أن يؤتى من الجهات الست قال فتقول أحسنهن صورة ومن أنتم جزاكم الله عني خيراً فتقول التي عن يمين العبد : أنا الصلاة وتقول التي عن يساره : أنا الزكاة وتقول التي بين يديه : أنا الصيام وتقول التي خلفه : أنا الحج والعمرة وتقول التي عند رجليه : أنا بر من وصلت من إخوانك . . ثم يقلن : من أنت فأنت أحسننا وجهاً وأطيبنا ريحاً وأبهانا هيئة فتقول :

أنا الولاية لآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين » [2] .

* وروى الشيخ الصدوق في ثواب صيام شعبان أن من صام تسعة أيام منه « عطف عليه منكر ونكير عندما يسألانه » [3] .

* وروي عن الإمام الباقر عليه السلام ثواب كثير لمن أحيا ليلة الثالث والعشرين من شهر رمضان وصلى فيها مائة ركعة . . من جملة ذلك الثواب أن الله تعالى يدفع عنه هول منكر ونكير ويسطع من قبره نور يضيء لأهل الجمع ، أي أهل الحشر .

* وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أن في الخضاب أربعة عشر

---

(١) بحار الأنوار : ٦ / ٢٦٥ .
(٢) نفس المصدر / ٢٣٤ .
(٣) ثواب الأعمال / ٨٧ .

خصلة إحداها : ويستحي منه منكر ونكير[1] وقد علمت مما مضى أن من خواص تربة النجف الطاهرة إعفاء المدفون فيها من حساب منكر ونكير والآن نذكر هنا ما يؤكد ذلك :

* **قصة :**

نقل العلامة المجلسي في التحفة عن إرشاد القلوب ورحلة الغري :

« روي عن القاضي ابن زيد الهمداني الكوفي وكان رجلاً صالحاً متعبداً قال :

كنت في جامع الكوفة ذات ليلة ، وكانت ليلة ممطرة فدق باب مسلم (حرم مسلم بن عقيل رضي الله عنه) جماعة ففتح لهم وذكر بعضهم أن معهم جنازة ، فأدخلوها وجعلوها على المصفة (المصطبة) المواجهة لباب الحرم ، ثم إن أحدهم نعس فنام فرأى في منامه قائلاً يقول للآخر :

أما تنظر إليه حتى نرى هل لنا معه حساب أم لا ؟ فكشف عن وجه الميت وقال لصاحبه : بل لنا معه حساب وينبغي أن تعجل في أخذه منه قبل أن يجتازوا به الرصافة فلا يكون لنا إليه بعد ذلك سبيل . .

فانتبه الرجل وحكى لهم المنام . . فحملوه مباشرة ومضوا به إلى المشهد الشريف (في النجف الأشرف)[2] قلت : ولله در من قال :

إذا مت فادفني إلى جنب حيدرٍ ... أبي شبر أكرم به وشُبير
فلست أخاف النار عند جواره ... ولا أتقي من منكر ونكير
فعار على حامي الحمى وهو في الحمى ... إذا ضل في البيدا عقال بعير

* ونقل عن الأستاذ الأكبر المحقق البهبهاني أنه قال :

---

(١) الخصال / ٤٩٧ .

(٢) إرشاد القلوب ٤٣٩ / ٤٤٠ بتصرف يسير والأبيات مذكورة فيه بعد القصة والعجز الأخير : إذا ضاع في المرعى عقال بعير .

يقول المؤلف :

في أمثال العرب : فلان أحمى من مجير الجراد أي أنه يحمي من يلجأ إليه أكثر من حماية مجير الجراد وقصة ذلك أن رجلاً في البادية من قبيلة طيء يدعى مدلج بن سويد . . كان يوماً جالساً في خيمته فرأى جماعة من قبيلته قادمين وبأيديهم آلات صيد الجراد . . سألهم : ما الخبر . . قالوا : إن أسراباً من الجراد حطت حوالي خيمتك جئنا لاصطيادها . .

فنهض وركب فرسه وأخذ رمحه بيده وقال : أقسم بالله أن من آذى هذا الجراد قتلته . . « أيكون الجراد في جواري ثم تريدون أخذه » لا يكون ذلك أبداً . .

وبقي يمنعهم من اصطياد الجراد إلى أن ارتفعت حرارة الشمس وطار الجراد . . فقال لهم : الآن وقد خرجوا من جواري . . فاصنعوا ما بدا لكم . .

* **قصة** :

نقل عن كتاب حبل المتقين أن « مير معين أشرف » من صلحاء خدام الروضة الرضوية قال :

رأيت في المنام في دار الحرس أني خرجت من الروضة لتجديد الوضوء فلما وصلت إلى حيث مصطبة « مير علي شير » رأيت عدداً كبيراً من الناس يدخلون دار الحرم المقدس . . يتقدمهم شخص نوارني صبيح الوجه عظيم الشأن وبأيدي جماعة من خلفه المعاول فلما توسطوا دار الحرم (الصحن) قال لهم : انبشوا هذا القبر وأخرجوا هذا الخبيث وأشار إلى قبر خاص . .

---

(١) دار السلام / ٢ / ١٤٨ .

فلما بدؤوا بالنبش . . سألت أحدهم : من هذا الأمير ؟ فقال : أمير المؤمنين عليه السلام .

فبينا نحن كذلك إذ خرج الإمام الثامن عليه السلام من الروضة وجاء إلى الأمير عليه السلام فسلم عليه فرد الإمام السلام ثم قال له : يا جداه أسألك أن تعفو عنه وتهبني تقصيره .

فقال عليه السلام : تعلم أن هذا الفاسق الفاجر كان يشرب الخمر . .

فقال : نعم لكنه أوصى عند وفاته أن يدفن في جواري فأرجو منك العفو عنه .

فقال : وهبتك جرائمه . .

ثم مضى عليه السلام . . فانتبهت خائفاً وأيقظت بعض الخدام ، وأتيت معه إلى الموضع المذكور فرأيت قبراً جديداً قد طرح بعض ترابه . . فسألته عن صاحبه فقال : رجل من الأتراك دفن فيه بالأمس [1] .

* يقول الفقير :

في قصة تشرف الحاج علي البغدادي بلقاء صاحب العصر أرواحنا فداه وأسئلته له نقل عنه عليه السلام أنه سأله :

سيدنا . . هل صحيح ما يقال من أن من زار الإمام الحسين فذلك أمان له من النار .

فقال عليه السلام : نعم والله وبكى وجرى الدمع من عينيه المباركتين .

قلت له : سيدنا مسألة .

قال : سل . . .

قلت سنة ١٢٦٩ زرنا الإمام الرضا عليه السلام والتقينا في (درود) عربياً

---

(١) دار السلام ١ / ٢٦٧ ـ ٢٦٨ وربما كان المراد بقول الأمير عليه السلام : وهبت لك [illegible] [illegible] عن استحقاقه لهذه الجرائم أن يسأل سؤال القبر . . وما شابه . . لا مطلق العفو . والله تعالى العالم

من الشروقية (الذي يسكنون البادية الشرقية في النجف) واستضفناه وسألناه عن ولاية الرضا عليه السلام فقال :

هي الجنة . . وها قد مضى علي خمسة عشر يوماً وأنا آكل من طعام مولاي الإمام الرضا فكيف يجرؤ منكر ونكير أن يدنوا مني في قبري . . وقد نبت لحمي ونما دمي من طعامه عليه السلام . . فهل هذا صحيح ؟ هل يأتي الإمام الرضا عليه السلام ويخلصه من منكر ونكير ؟ فقال عليه السلام : نعم والله ، جدي ضامن [1] .

---

(١) مفاتيح الجنان / ٤٨٦ وقصة تشرف الحاج علي البغدادي بلقاء الإمام المنتظر أرواحنا فداه طويلة مربية وصحيحة السند وممن سمعها من البغدادي مباشرة المحدث النوري صاحب المستدرك رضوان الله عليه كما نص على ذلك عند إيراده القصة في النجم الثاقب / ٢٧١ .

الفصل الثالث

البرزخ

* ومن المنازل المهولة البرزخ الذي ذكره الله تعالى في سورة « المؤمنون » :

﴿ ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ﴾ .

وقد قال الإمام الصادق عليه السلام في جانب من حديث مروي عنه :

« . . . ولكني والله أتخوف عليكم في البرزخ . .

قال الراوي : وما البرزخ ؟ .

قال عليه السلام : القبر منذ حين موته إلى يوم القيامة »[1] .

* وعن « لب اللباب » للراوندي .

إن الموتى يأتون في كل جمعة من شهر رمضان فيقفون وينادي كل واحد منهم بصوت حزين باكياً :

يا أهلاه ويا ولداه ويا قرابتاه إعطفوا علينا بشيء يرحمكم الله واذكرونا ولا تنسونا بالدعاء وارحموا علينا (كذا) وعلى غربتنا فإنا قد بقينا في سجن ضيق وغم طويل وشدة فارحمونا ولا تبخلوا بالدعاء والصدقة لنا لعل الله يرحمنا قبل أن تكونوا مثلنا فواحسرتاه قد كنا قادرين مثل ما أنتم قادرون فيا عباد الله اسمعوا كلامنا ولا

---

(١) بحار الأنوار : ٦ / ٢٦٧ .

تنسونا فإنكم ستعلمون غداً فإن الفضول التي في أيديكم كانت في أيدينا فكنا لا تنفق في طاعة الله ومنعنا عن الحق فصار وبالاً علينا ومنفعة لغيرنا فاعطفوا علينا بدرهم أو رغيف أو بكسرة ثم ينادون :

ما أسرع ما تبكون على أنفسكم ولا ينفعكم كما نحن نبكي ولا ينفعنا فاجتهدوا قبل أن تكونوا مثلنا [1] .

* وقد نقل في « جامع الأخبار » عن بعض الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال :

أهدوا لموتاكم فقلنا يا رسول الله وما هدية الأموات ؟

قال : الصدقة والدعاء وقال :

إن أرواح المؤمنين تأتي كل جمعة إلى السماء الدنيا بحذاء دورهم وبيوتهم ينادي كل واحد منهم بصوت حزين باكين . .

يا أهلي ويا ولدي ويا أبي ويا أمي وأقربائي اعطفوا علينا يرحمكم الله بالذي كان في أيدينا والويل والحساب علينا والمنفعة لغيرنا . .

وينادي كل واحد منهم إلى أقربائه : اعطفوا علينا بدرهم ، برغيف ، أو بكسوة يكسوهم (يكسكم) الله من لباس الجنة ثم بكى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبكينا فلم يستطع النبي أن يتكلم من كثرة بكائه ثم قال :

أولئك إخوانكم في الدين فصاروا تراباً رميماً بعد السرور والنعيم فينادون بالويل والثبور على أنفسهم يقولون يا ويلنا لو أنفقنا ما في أيدينا في طاعة الله ورضائه ما كنا نحتاج إليكم فيرجعون بحسرة وندامة وينادون أسرعوا صدقة الأموات [2] .

---

(١) سفينة البحار موت ٢ / ٥٥٦ وأول النص فيه كان الموتى وقد صححته على ترجمة المؤلف للنص في هذا الكتاب « منازل الآخرة » .

(٢) جامع الأخبار مطبعة الغري ٧٨ هـ / ١٧٦ ـ ١٧٧ وسفينة البحار (موت) ومستدرك الوسائل ١ / ١٤٩ .

* وفي الكتاب المذكور عنه صلى الله عليه وآله وسلم :

ما تصدقت لميت فيأخذها ملك في طبق من نور ساطع ضوؤها يبلغ سبع سماوات ثم يقوم على شفير الخندق (القبر) فينادي :

السلام عليكم يا أهل القبور ، أهلكم أهدوا إليكم بهذه الهدية فيأخذها ويدخل بها في قبره فتوسع عليه مضاجعة . .

ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم :

ألا من عطف لميت بصدقة فله عند الله من الأجر ويكون يوم القيامة في ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظل العرش وأحيا ميتاً (هنيئاً لميت) نجسا بهذه الصدقة[1] .

* ويحكى أن أمير خراسان شوهد في المنام وهو يقول :

أرسلوا إلي بما تطرحونه للكلاب فإني محتاج إليه . . [2]

* قال العلامة المجلسي في زاد المعاد : يجب أن لا يُنسى الأموات لأنهم عاجزون عن القيام بأعمال الخير . . وهم يأملون أن يصلهم شيء من أولادهم وأقاربهم وإخوانهم المؤمنين وينتظرون ذلك بفارغ الصبر خصوصاً في الدعاء في صلاة الليل وبعد صلاة الفريضة وفي المشاهد المشرفة وينبغي تخصيص الأب والأم والإهتمام بالدعاء لهما والأعمال الصالحة عنهما أكثر من غيرهما .

وفي الحديث عن الصادق عليه السلام :

يكون الرجل عاقاً لوالديه في حياتهما فيصوم عنهما بعد موتهما ويصلي عنهما ويقضي عنهما الدين ، فلا يزال كذلك حتى يكتب باراً بهما وإنه ليكون باراً بهما في حياتهما فإذا ماتا لا يقضي دينهما ولا يبرهما بوجه من وجوه البر فلا يزال كذلك حتى

---

(١) جامع الأخبار / ١٧٧ بتصرف يسير لاضطراب النص كما ترى .

(٢) أي لتكن نيتكم أن ما تطرحونه للكلاب هو عن روح حاكم خراسان ليصل إليه ثوابه فتكونون قد أرسلتموه إليه . .

يكتب عاقاً[1] وأهم أعمال الخير للوالدين وسائر الأقارب أداء دينهم وتبرئة ذممهم من حقوق الله والناس والحج عنهم وأداء سائر العبادات، التي فاتتهم وينبغي الإهتمام بذلك إما بالإستئجار أو التطوع والتبرع .

وفي حديث صحيح أن الإمام الصادق عليه السلام كان يصلي في كل ليلة لأولاده وفي كل يوم لأبويه ركعتين يقرأ في الركعة الأولى « إنا أنزلناه » (بعد الحمد) وفي الركعة الثانية : « إن أعطيناك الكوثر » . . [2]

كما روي بسند صحيح عن الإمام الصادق عليه السلام :

قال الراوي : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : يصلىٰ عن الميت ؟ فقال : نعم حتى أنه ليكون في ضيق فيوسع الله عليه ذلك الضيق ، ثم يؤتى فيقال له : خفف عنك هذا الضيق بصلاة فلان أخيك عنك قال : فقلت له : فأشركُ بين رجلين في ركعتين ؟ قال : نعم . . ثم قال عليه السلام « إن الميت ليفرح بالترحم عليه والإستغفار له كما يفرح الحي بالهدية تهدي إليه » [3] .

وقال عليه السلام : يدخل على الميت في قبره الصلاة والصوم والحج والصدقة والبر والدعاء ويكتب أجره للذي يفعله وللميت [4] .

وقال عليه السلام في حديث آخر : من عمل من المسلمين عن ميت عملاً صالحاً أضعف له أجره (أي صار مضاعفاً) ونفع الله به الميت [5] .

وقد ورد في رواية « إذا تصدق الرجل بنية الميت أمر الله جبرئيل أن يحمل إلى قبره سبعين ألف ملك في يد كل ملك طبق فيحملون إلى قبره ويقولون : السلام عليك يا ولي الله هذه هدية فلان بن فلان إليك فيتلألأ قبره . . وأعطاه الله ألف

---

(١) بحار الأنوار : ٧٤ / ٨٤ ولاحظ ٨١ و ٥٩ و ٤٦ وج ٨٨ / ٣٠٤ ـ ٣٠٥ .
(٢) مستدرك الوسائل : ١ / ٤٧٠ وبحار الأنوار : ٨٨ / ٣١٤ وسفينة البحار : ٢ / ٥٥٥ .
(٣) من لا يحضره الفقيه : ١ / ١٨٣ وفيه بدل « ثم قال : فقال . . .
(٤) نفس المصدر : ١ / ١٨٥ وبحار الأنوار : ٨٨ / ٣١١ .
(٥) المصدر السابق .

مدينة في الجنة وزوجه ألف حوراء وألبسه ألف حلة وقضى له ألف حاجة »[1]

* يقول المؤلف :

رأيت من المناسب هنا أن أنقل عدة قصص نافعة من المنامات الصادقة . . وإياك أن لا تعتني بها وتتخيل أنها منامات من المنامات المضطربة أو أسطورة مما يحكى للصبيان . . بل تأمل فيها جيداً فإن التأمل فيها يطيش اللب . . ويقض المضجع . .

« الأساطير جميعاً تبعث على النعاس والنوم . . لكن أسطورتي تسلب العين حلو النوم . . إنها أسطورة عجيبة »[2] .

---

(١) سفينة البحار (موت) : ٢ / ٥٥٥ والرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

(٢) مضمون بيت .

*** القصة الأولى . . .**

* قال شيخنا ثقة الإسلام النوري عطَّر الله مرقده ، في دار السلام :

حدثني (. . .) العالم الجليل الأمير السيد حسن الحسيني الأصفهاني رحمه الله قال :

عندما توفي والدي العلامة (في أصفهان) كنت مقيماً في النجف الأشرف بهدف الدراسة . . وكان يدير أمور والدي رحمه الله بعض إخوتي ولم أكن مطلعاً على تفاصيلها . . وبعد مضي سبعة أشهر من وفاته ، توفيت أمي ونُقِلَت جنازتها إلى النجف . .

وذات يوم رأيت في المنام أني جالس في بيتي الذي كنت ساكناً فيه . . وإذا بالوالد رحمه الله يدخل علي فقمت واستقبلته . . فجلس في صدر المجلس وتلطف في السؤال عن أحوالي . . وكنت في منامي منتبهاً إلى أنه ميت فقلت له :

إنك توفيت في أصفهان وأراك هنا في النجف ؟! فقال : نعم أنزلونا بعد الوفاة في النجف وإقامتنا الآن فيها . .

قلت : والوالدة عندكم ؟

قال : لا . .

فاستوحشت من ذلك ، فقال :

إنها أيضاً في النجف . . ولكنها في مكان آخر . .

فأدركت عندها السبب في ذلك . . فالعالم أرفع درجة من غير العالم . . ثم سألته عن حاله فقال : كنت في ضيق أما الآن فالحمد لله في حال حسن . . وقد فرج عني ما كان بي من الضيق والشدة . .

فتعجبت من ذلك وقلت :

أنت كنت في ضيق ؟

قال : نعم . . كان علي دَيْنٌ للحاج رضا المعروف بـ « نعلْبنَد » وقد ساء حالي بسبب دينه هذا . .

فزاد تعجبي . . واستيقظت من النوم فزعاً متعجباً . .

وكتبت رسالة إلى أخي الذي كان وصي المرحوم والدي وأخبرته فيها بما رأيت في منامي ، وطلبت منه أن يتصل بالشخص المذكور ويسأله هل له دين على الوالد ؟

فكتب إلي إني فتشت في دفتر ديون الوالد فلم أجد اسم هذا الرجل بين الدائنين . . وكتبت إليه ثانية : إسأل الرجل نفسه . . فجاءني الجواب من أخي : أخي :

لقد سألته فقال : نعم كان لي عليه ثمانية عشر توماناً (وهو مبلغ مهم آنذاك) وقد سألتك بعد وفاته هل وجدت اسمي في دفتره فقلت : لا . . فقلت في نفسي السكوت أفضل لأني لو أخبرت بذلك فلا مجال عندي لإثباته . . وضاق صدري لأني أقرضته دون حجة تثبت ذلك . . اعتماداً على أنه سيدونه في الدفتر . . ولكن تبين أنه تساهل في ذلك ويئست من المبلغ . .

وأراد أخي دفع المبلغ إلى الحاج المذكور فقال : قد سامحته لأنه أخبركم بذلك . . [1]

---

(١) دار السلام : ٢ / ١٦٤ ـ ١٦٥ بتصرف في الصياغة .

* القصة الثانية . . .

وأيضاً . . قال الشيخ الأجل المحدث المتبحر ثقة الإسلام النوري نور الله مرقده ، في دار السلام : حدثني الصالح الورع التقي الشيخ أبو الحسن المازندراني فقال :

كان لي صديق فاضل تقي عالم وهو الشيخ جعفر بن العالم الصالح الشيخ حسين الطبري من قرية اسمها (تيلك) وكان رحمه الله مقيماً في بلده . . فلما جاء الطاعون العظيم الذي عم البلاد واجتاح العباد . . مات عدد كبير من الناس وجعلوا الشيخ جعفر وصياً على أموالهم . . . فاجتمع عنده من ذلك مال عظيم . . ثم مات بعدهم بالطاعون نفسه . . قبل أن يصرف الأموال في مصاريفها . . فتلفت تلك الأموال كلها . . وعندما وُفِّقتُ لزيارة العتبات المقدسة ومجاورة ضريح مولانا أبي عبد الله الحسين عليه السلام رأيت ذات ليلة في منامي كأن رجلاً في عنقه سلسلة تشتعل ناراً وطرفاها بيد رجلين ولسانه طويل قد دلع على صدره . . فلما رآني من بعيد توجه نحوي . . وعندما أصبح قريباً مني تبين لي أنه الشيخ جعفر المذكور !!

وتعجبت من ذلك . . ولما هم أن يكلمني . . إذا بالسلسلة تجر إلى الخلف . . فرجع القهقري . . ولم يتمكن من الكلام . . ثم اقترب مني ثانية . . وإذا بالرجلين اللذين بيدهما السلسلة يسحبانه أيضاً . . وكذلك في المرة الثالثة . .

ففزعت من منظره وحالته فزعاً شديداً وصرخت صرخة عظيمة واستيقظت من صرختي من النوم . . واستيقظ أحد العلماء وكان نائماً بجواري . .

فقصصت عليه الرؤيا . . وكان وقت الأذان . . وهو وقت فتح أبواب حرم سيد الشهداء عليه السلام . .

قلت لصاحبي : ينبغي أن نذهب إلى الحرم ونزور ونستغفر له لعل الله يرحمه . . إن كانت الرؤيا صادقة . . وقمنا بذلك فعلاً . . ومضى زمن طويل لم يتبين لي خلاله شيء عن حال الشيخ جعفر . .

وكنت أعتقد أن ذلك للتقصير الذي صدر منه في أموال الناس أيام الطاعون . . وعندما منَّ الله تعالى علي بزيارة بيته الحرام وأداء المناسك . . وتوجهت بعدها إلى المدينة المنورة . . مرضت مرضاً شديداً قبل الوصول إلى المدينة . . بحيث لم أعد أستطيع المشي والحركة . .

وبمجرد أن دخلنا المدينة المنورة قلت لأصحابي غسلوني وبدلوا ثيابي واحملوني إلى روضة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم . . مخافة أن يحول الموت بيني وبين الوصول إليها . .

وعندما أدخلوني الروضة المطهرة أغمي علي . . ووضعوني جانباً إلى أن أفقت . . فحملوني ووضعوني قريباً من الضريح المقدس فقرأت الزيارة . .

ثم حملوني إلى الجهة الأخرى حيث مكان بيت الصديقة الطاهرة سلام الله عليها . . وهو أحد الأماكن التي تزار فيها ، فجلستُ وزرت بما تيسر ثم طلبت منها الشفاء وقلت لها :

عرفنا من الروايات كثرة محبتك لولدك الحسين عليه السلام ، وإني مجاور لقبره الشريف فبحقه عليك إلا ما شافيتني . .

ثم خاطبت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وذكرت حوائجي ومنها الشفاعة لجملة من رفقائي الذين حلوا بين أطباق الثرى . . وعددت أسماءهم إلى

أن وصلت إلى قبر الشيخ جعفر المذكور . . فتذكرت الرؤيا فتغير حالي وألحيت في طلب المغفرة له وطلب الشفاعة له من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقلت :

إني رأيته منذ عشرين سنة في المنام في حالة سيئة . . ولا أدري هل كان منامي هذا صادقاً أم أضغاث أحلام . . وذكرت ما خطر ببالي من التضرع والدعاء له . .

ثم وجدت في نفسي خفة . . فقمت ورجعت إلى المنزل ماشياً . . وزال ما كان بي من المرض ببركة البتول الزهراء سلام الله عليها . . وفي طريقنا من المدينة . . نزلنا يوما في « أُحد » . . وبعد أداء زيارة الشهداء نمت . . فرأيت في منامي الشيخ جعفر وقد جاء في زي جميل . . وثيابه بيضاء كالثلج وعلى رأسه عمامة . . وفي يده عصا . .

فلما دنا مني سلم علي . . وقال : مرحباً بالأخوة والصداقة . . هكذا ينبغي أن يفعل الصديق بصديقه . . لقد كنت طيلة المدة الماضية في ضيق وشدة وبلاء ومحنة . . فما قمت من الروضة المطهرة إلا وقد خلصتني . . . والآن منذ يومين أو ثلاثة أرسلوني إلى الحمام وطهروني من الأقذار والأدران وبعث إلي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بهذه الثياب والصديقة الطاهرة بهذه العباءة وصار أمري بحمد الله إلى خير وعافية وجئت إليك مشيعاً في سفرك ومبشراً . . فطب نفساً . . إنك سترجع إلى أهلك سالماً صحيحاً . . وهم سالمون . . فانتبهت من النوم شاكراً فرحاً . .

* قال شيخنا المرحوم :

وعلى الفطن الخبير أن يتأمل في دقائق هذه الرؤيا فإن فيها ما يزيل عن القلب العمى وعن البصر القذى [1] .

---

(١) دار السلام : ٢ / ١٥٣ ـ ١٥٥ بتصرف .

* القصة الثالثة . . .

قال المحدث صاحب المستدرك نور الله ضريحه : حدثني عمدة الفقهاء ، رافع أعلام الزهد الشيخ علي الطهراني عن والده العالم الفاضل الصالح الشيخ خليل الطهراني قال :

* كنت في مشهد الإمام الحسين عليه السلام . . وكانت أمي في طهران . . فرأيت ليلة في ما يراه النائم أن والدتي جاءت إلي وقالت :

يا بني . . قدْ متُّ . . وجاؤوا بي إليك، وقد هشموا أنفي . .

استيقظت من النوم فزعاً مرعوباً . . وبقيت كذلك إلى أن جاءتني رسالة من أحد أخوتي يقول فيها : لقد توفيت الوالدة وأرسلنا جنازتها مع الجنائز .

وعندما وصل المعنيون بنقل الجنائز قالوا : تركنا جنازة والدتك قرب (ذي الكفل) لأنا تصورنا أنك في النجف .

وبقيت متحيراً في معنى « هشموا أنفي » .

وعندما جاؤوا بنعش الوالدة كشفت عن وجهها فرأيت أنفها مكسوراً . . فسألتهم عن ذلك فقالوا : كانت هذه الجنازة موضوعة فوق الجنائز وقد تصادمت الخيول فوقع نعشها إلى الأرض ولا علم لنا بغير ذلك . .

ونقلت جنازتها إلى دار حرم أبي الفضل العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام وقلت : يا أبا الفضل إن والدتي لم تكن تحسن الصلاة والصوم وهي « دخيلتك » فادفع عنها الأذى يا سيدي وعلي ضمان خمسين سنة صوم وصلاة أستنيب عنها . . ثم دفنت رحمها الله . .

وبقيت مدة من الزمن . . وذات ليلة رأيت في منامي أني أسمع ضجة وضوضاء على باب داري . . فخرجت من البيت . . وإذا بي أرى والدتي وقد شد وثاقها إلى شجرة . . وهي تضرب بالسياط . .

فقلت : ما بالها . . وأي ذنب لها حتى تضرب . .

قالوا : أمرنا أبو الفضل أن نضربها حتى تدفع مبلغاً مقدراً . .

فدخلت الدار وأتيت بالمبلغ ودفعته إليهم وأطلقت سراح والدتي وجئت بها إلى البيت وبدأت أخدمها . .

وعندما استيقظت من النوم حسبت المبلغ الذي أخذوه مني فإذا هو يساوي أجرة خمسين سنة عبادة . . فأخذت ذلك المبلغ وذهبت إلى السيد صاحب الرياض رحمه الله تعالى وقلت : هذا مبلغ خمسين سنة عبادة عن والدتي وحدثته بما رأيت . .

قال شيخنا الأجل صاحب دار السلام أحله الله دار السلام :

وفي هذه الرؤيا من عظم الأمر وخطر العاقبة وعدم جواز التهاون بما عاهد الله على نفسه وعلو مقام أوليائه المخبتين ما لا يخفى على من تأملها بعين البصيرة ونظر الإعتبار[1] .

---

(١) دار السلام : ٢ / ٢٤٥ ـ ٢٤٦ بتصرف .

* القصة الرابعة . . .

أيضاً . . بنفس السند المتقدم . . قال المرحوم الشيخ خليل الطهراني :

كان في طهران رجل يعمل خادماً في الحمام العمومي . . وكان لا يصلي ولا يصوم . . وذات يوم جاء إلى المعمار وقال :

أريد أن أبني حماماً . .

قال المعمار : ومن أين تأتي بالمال . .

قال : خذ ما شئت . . وابن لي حماماً . .

وفعلاً بنى له حماماً معروفاً باسمه . . وكان اسمه علي طالب . .

وعندما كنت في النجف الأشرف رأيت في ما يراه النائم أن علي طالب هذا جاء إلى النجف في وادي السلام فتعجبت من ذلك . . وقلت له : ما جاء بك إلى هذا المكان وأنت لا تصلي ولا تصوم ؟!!

فقال : يا هذا أنا مت عوضعوني في الأغلال ليأخذوني إلى العذاب . . لكن جزى الله الشيخ محمد الكرمانشاهي خير الجزاء حيث أنه استأجر نائباً للحج عني وهو فلان واستأجر فلان للصوم والصلاة ودفع عني الزكاة والمظالم على يد فلان وفلان . . ولم يبق علي شيئاً إلا أداه . . فخلصني من العذاب فجزاه الله عني خير جزاء المحسنين . . واستيقظت من نومي . . وتعجبت من هذه الرؤيا وبعد مدة

جاء بعض المسافرين من طهران فسألتهم عن علي طالب فأخبروني كما رأيت في الرؤيا . . وبأسماء الأشخاص الذين أدوا العبادات عنه أو تقرر أن يؤدوها . . فتعجبت لصدق تلك الرؤيا ومطابقتها للواقع .

* قال المحدث صاحب المستدرك معلقاً على هذه القصة :

وفي هذه الرؤيا تصديق لما استفاض عن أهل العصمة من وصول ثواب الصوم والصلاة والحج وسائر الخيرات والمبرات إلى الميت ، وأنه قد يكون في ضيق فيفرج عنه ، وتصديق لما ورد من أنه ما من مؤمن يموت في شرق الأرض وغربها إلا وحشر الله روحه إلى وادي السلام وفي بعض الروايات : أما كأني بهم حلق قعود يتحدثون . .

والشيخ محمد (الكرمانشاهي) المذكور من العلماء الأخيار والصلحاء الأبرار وإليه انتهت رئاسة مدينة طهران مدة مديدة وما رأى أحد منه عثرة ولا زلة . . [1]

---

(١) دار السلام : ٢ / ٢٤٤ ـ ٢٤٥ بتصرف .

* القصة الخامسة . . .

نقل عن أربعينيات الفاضل والعارف الكامل القاضي سعيد القمي رحمه الله أنه قال :

بلغنا عن ثقة معتمد أن أستاذ أساتذتنا بهاء الملة والدين الشيخ البهائي العاملي قدس سره ذهب ذات يوم لزيارة بعض أهل الحال (والعبادة) في مقبرة من مقابر أصفهان كان مقيماً فيها . .

قال ذلك الشخص العارف (العابد) للشيخ البهائي : رأيت في هذه المقبرة قبل اليوم أمراً غريباً وهو أني رأيت جماعة جاؤوا بجنازة إلى هذه المقبرة ودفنوها في المكان الفلاني وانصرفوا . .

وبعد مضي ساعة شممت رائحة عطرة ليست من روائح هذه النشأة (الدنيا) فبقيت متحيراً أنظر يميناً وشمالاً . . لأعرف منشأ هذه الرائحة العطرة . .

وفجأة رأيت شاباً وسيماً في زي الملوك يذهب باتجاه ذلك القبر (الذي دفنت فيه الجنازة المذكورة) . . مشى حتى وصل إلى القبر . . فتعجبت من مجيئه إلى هذا القبر . . وما إن جلس بجانبه حتى اختفى . . وكأنه دخل في القبر . .

بعد ذلك بفترة وجيزة شممت رائحة خبيثة أشد نتناً من أية رائحة نتنة . .

نظرت فإذا بي أرى كلباً يقتفي أثر ذلك الشاب حتى وصل إلى القبر واختفى . .

وزاد تعجبي . . وفيما أنا كذلك إذا بذلك الشاب يخرج فجأة سيء الحال . . سيء الهيئة . . مثخناً بالجراح ورجع من حيث أتى . .

ومشيت في أثره . . ورجوته أن يخبرني بحقيقة الحال . .

قال : أنا العمل الصالح لهذا الميت . . وكنت مأموراً أن أكون معه في القبر . . وفجأة جاء هذا الكلب الذي رأيت وهو عمله غير الصالح . . فأردت اخراجه من القبر وفاءً بحق الصحبة للميت فعضني هذا الكلب واقتطع بعض لحمي وجرحني كما ترى . . ومنعني من البقاء معه . . فاضطررت لترك القبر فخرجت وتركته . .

* قال الشيخ البهائي :

صدقت . . فنحن قائلون بتجسم الأعمال وتصورها بالصورة المناسبة بحسب الأحوال[1] .

* يقول المؤلف :

ويؤيد هذه القصة الخبر الذي رواه الشيخ الصدوق في أول الأمالي وملخصه أن قيس بن عاصم المنقري وفد في جماعة من بني تميم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وطلب منه موعظة نافعة فوعظه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بموعظة منها . .

« وإنه لا بد لك يا قيس من قرين يُدفن معك وهو حي وتدفن معه وأنت ميت فإن كان كريماً أكرمك وإن كان لئيماً أسلمك ثم لا يحشر إلا معك ولا تحشر إلا

---

(١) سمعت هذه القصة من آية الله محمدي گيلاني أوردها في إحدى الخطب قبل صلاة الجمعة في طهران وقال . . إن الإمام القائد الخميني رضوان الله عليه كان يرويها لطلابه في قم نقلاً عن (كتاب) القاضي سعيد القمي . . وتجد رأي الشيخ البهائي في تجسم الأعمال في كتابه « الأربعين » ٩٤ و /٢٥٦ .

معه ولا تسأل إلا عنه ولا تجعله إلا صالحا فإنه إن صلح أنست به ، وإن فسد لا تستوحش إلا منه وهو فعلك .

فقال قيس : يا نبي الله أحب أن يكون هذا الكلام في أبياتٍ من الشعر نفخر به على من يلينا من العرب وندخره . .

فأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من يأتيه بحسان . . وكان صلصال بن الدلهمس حاضراً فنظم هذه المعاني شعراً قبل مجيء حسان وقال :

تخير خليطاً من فعالك إنما	قرين الفتى في القبر ما كان يفعل
ولا بد بعد الموت من أن تُعدَّه	ليوم ينادي المرء فيه فيقبل
فإن كنت مشغولاً بشيء فلا تكن	بغير الذي يرضى به الله تُشغَل
فلن يصحب الإنسان من بعد موته	ومن قبله إلا الذي كان يعمل
إلا إنما الإنسان ضيف لأهله	يقيم قليلاً بينهم ثم يرحل [1]

وقد روى الشيخ الصدوق رحمه الله عن الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

مر عيسى بن مريم عليه السلام بقبر يعذب صاحبه ، ثم مر به من قابل (السنة الثانية) فإذا هو ليس يعذب فقال : يا رب مررت بهذا القبر عام أول فكان صاحبه يعذب . . ثم مررت به العام فإذا هو ليس يعذب ؟ فأوحى الله عزَّ وجلَّ إليه : يا روح الله إنه أدرك له ولد صالح فأصلح طريقاً وآوى يتيماً فغفرت له بما عمل ابنه [2] .

---

(١) روضة الواعظين / ٤٨٧ والحديث مشهور إلا أن في روضة الواعظين ما يفهم منه أن قيس بن عاصم هو الذي أنشد الشعر ولكني أثبت هنا السياق الذي أورده المؤلف رحمه الله .

(٢) بحار الأنوار : ٦ / ٢٢٠ .

الفَصْل الرّابِع

القيامة

أحد المنازل المهولة في الآخرة . . القيامة . . وهولها عظيم ، بل أعظم من كل هول . . وهو الفزع الأكبر وقد قال الله تعالى في وصف القيامة :

﴿ ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة ﴾ (الأعراف : ١٨٧) .

أي أن القيامة ثقيلة وغالية وعظيمة من حيث الشدائد والأهوال على أهل السماوات والأرض من الملائكة والجن والإنس ولا تأتي إلا فجأة . .

* روى « القطب الراوندي » عن الإمام عليه السلام : قال عيسى بن مريم صلوات الله عليه : متى قيام الساعة ؟ فانتفض جبرئيل انتفاضة أغمي عليه منها فلما أفاق قال : يا روح الله ما المسؤول أعلم بها من السائل ثم قرأ هذه الآية الشريفة[1] .

* وروى الشيخ الجليل علي بن إبراهيم القمي عن الإمام الباقر عليه السلام :

بينا كان رسول الله جالساً وعنده جبرئيل عليه السلام إذ حانت من جبرئيل

(١) بحار الأنوار : ٧ / ٦١ - ٦٢ .

نظرة قبل السماء فانتقع لونه حتى صار كأنه كركم [1] ثم لاذ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنظر رسول الله إلى حيث نظر جبرئيل فإذا شيء قد ملأ بين الخافقين مقبلاً حتى كان كقاب من الأرض ، ثم قال : يا محمد إني رسول الله إليك أخبرك : أن تكون ملكاً رسولاً أحب إليك أو أن تكون عبداً رسولاً فالتفت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى جبرئيل وقد رجع إليه لونه فقال جبرئيل : بل كن عبداً رسولاً . .

فقال رسول الله : بل أكون عبداً رسولاً فرفع الملك رجله اليمنى فوضعها في كبد السماء الدنيا ثم رفع الأخرى فوضعها في الثانية ثم رفع اليمنى فوضعها في الثالثة ثم هكذا حتى انتهى إلى السماء السابعة بعد كل سماء خطوة وكلما ارتفع صغر حتى صار مثل الصر فالتفت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى جبرئيل عليه السلام فقال : قد رأيتك ذعراً . . وما رأيت شيئاً كان أذعر لي من تغير لونك فقال : يا نبي الله لا تلمني أتدري من هذا قال : لا . .

قال هذا إسرافيل حاجب الرب ولم ينزل[2] من مكانه منذ خلق الله السماوات والأرض ولما رأيته منحطاً (نازلاً) ظننت أنه جاء بقيام الساعة وكان الذي رأيت من تغير لوني لذلك فلما رأيت ما اصطفاك الله به رجع إلي لوني ونفسي . . الخ »[3] .

* وفي رواية :

ما من ملك مقرب ولا سماء ولا أرض ولا رياح ولا جبال ولا بر ولا بحر إلا

(١) في هامش البحار والنص هنا منقول منه : كركم : وزان بُرثن : الزعفران والعلك (والمراد شدة الصفرة) .
(٢) قال المؤلف في الهامش : لعل المراد أنه لم ينزل وحيداً ودون إخبار كما نزل الآن حتى لا يتنافى هذا مع ما ورد من نزوله مع جبرائيل وميكائيل لهلاك قوم لوط وأمثال ذلك ، والله العالم .
(٣) بحار الأنوار : ٥٩ / ٢٥٠ - ٢٥١ عن تفسير القمي وفي النص أن الحديث عن الإمام الصادق وليس عن الإمام الباقر عليهما السلام كما أورده المؤلف رحمه الله .

وهن يشفقن من يوم الجمعة أن تقوم فيه الساعة[1] .

* يقول الفقير :

لعل خوف السماء والأرض وسائر ما ذكر هو خوف أهلها والموكلين بها كما ذكر المفسرون في معنى آية : ثقلت في السماوات والأرض .

* وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (كان) إذا ذكر الساعة اشتد صوته واحمرت وجنتاه[2] .

* وذكر الشيخ المفيد في الإرشاد :

« ولما عاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من تبوك إلى المدينة قدم إليه عمرو بن معد يكرب فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أسلم يا عمرو يؤمنك الله من الفزع الأكبر (أي الفزع الذي هو أكبر من كل فزع) قال : يا محمد وما الفزع الأكبر فإني لا أفزع فقال : يا عمرو إنه ليس كما تظن وتحسب ، إن الناس يصاح بهم صيحة واحدة فلا يبقى ميت إلا نشر ولا حي إلا مات إلا ما شاء الله ثم يصاح بهم صيحة أخرى فينشر (يبعث) من مات ويصفون جميعاً (يقفون صفوفاً) وتنشق السماء وتهد الأرض وتخر الجبال هداً وترمي النار بمثل الجبال شرراً فلا يبقى ذو روح إلا انخلع قلبه وذكر ذنبه وشغل بنفسه إلا ما شاء الله فأين أنت يا عمرو من هذا . .

قال : ألا أني أسمع أمراً عظيماً فآمن بالله ورسوله وآمن معه من قومه ناس ورجعوا إلى قومهم[3] .

* يقول المؤلف :

يتضح من هذا النص مدى قوة قلب عمرو وشجاعته . . وقد ذكر أنه كان من الشجعان المشهورين وأنه تولى فتح أكثر بلاد العجم وكان سيفه « الصمصامة »

---

(١) سفينة البحار (قوم) ٢ / ٤٥٥ .
(٢) نفس المصدر « سَوَعَ » ١ / ٦٧٣ .
(٣) الإرشاد - ٨٤ .

معروفاً . . وقد طلب منه عمر أن يريه هذا السيف . . فانتضاه عمر وضرب به ليجربه ويرى حدته فلم يعمل . . ولم يؤثر أبداً فرمى به وقال ليس بشيء . . فقال عمرو : أيها الأمير أعرتك السيف ولم أعِرْكَ الساعد فعاتبه عمر وقيل إنه ضربه [1] .

* والروايات في هذا المجال كثيرة . . ويستفاد منها جميعاً أن هول القيامة عظيم جداً . . . وتبلغ عظمته وشدته إلى حد أن الأموات في عالم البرزخ والقبر يفزعون منه أيضاً . . بحيث أن بعض الأموات الذين عادوا إلى الحياة الدنيا بدعاء أولياء الله كانت شعورهم مبيضة جميعها ولما سئلوا عن سبب ذلك قالوا : عندما أمرنا بالحياة ظَنَنَّا أن القيامة قامت . . فابيض شعرنا من هول القيامة ووحشتها . .

* وها نحن نذكر هنا بعض الأمور التي تخلص من شدائد القيامة وتؤمن من الفزع الأكبر .

---

(١) سفينة البحار « شجع » ١ / ٦٩٠ بتصرف .

* ما ينجي من أهوال القيامة والفزع الأكبر . . .

* **الأول** : قراءة سورة خاصة من القرآن المجيد .

* روي أن « من قرأ سورة يوسف في كل يوم أو في كل ليلة بعثه الله في يوم القيامة وجماله مثل جمال يوسف عليه السلام ولا يصيبه فزع يوم القيامة . . »[1] .

* وروي عن الامام الباقر عليه السلام :

من قرأ سورة الدخان في فرائضه ونوافله بعثه الله من الآمنين يوم القيامة . . »[2] .

* وروي عن الإمام الصادق عليه السلام :

من قرأ كل ليلة أو كل جمعة سورة الأحقاف لم يصبه الله بروعة في الحياة الدنيا وآمنه من فزع يوم القيامة إن شاء الله[3] .

* وروي عنه عليه السلام :

من قرأ « والعصر » في نوافله بعثه الله يوم القيامة مشرقاً وجهه ضاحكاً سنه

---

(١) ثواب الأعمال / ١٣٣ والرواية عن الإمام الصادق عليه السلام .
(٢) نفس المصدر / ١٤١ .
(٣) نفس المصدر .

قريراً عينه حتى يدخل الجنة [1] .

* الثاني : إجلال ذي الشيبة المسلم .

* روى الشيخ الكليني عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من وقر ذا شيبة في الإسلام آمنه الله عزَّ وجلَّ من فزع يوم القيامة » [2] .

* الثالث : الموت في طريق مكة أو في الحرمين .

* وروى (الكليني) أيضاً عنه عليه السلام أنه قال : « من مات في طريق مكة ذاهباً أو جائياً أمن من الفزع الأكبر يوم القيامة » [3] .

* وروى الشيخ الصدوق عنه عليه السلام :

« من مات في أحد الحرمين (مكة أو المدينة زادهما الله شرفاً وتعظيماً) بعثه الله من الآمنين . . » [4] .

* الرابع : الدفن في الحرم المكي .

* روى الشيخ الكليني عن الإمام الصادق عليه السلام :

من دفن في الحرم (أي حرم مكة) أمن من الفزع الأكبر يوم القيامة . . . » [5]

* الخامس : من اجتنب شهوة حراماً . .

* روى الشيخ الصدوق عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

---

(١) نفس المصدر / ١٥٣ .

(٢) أصول الكافي باب وجوب إجلال ذي الشيبة المسلم ج ٢ / ٦٥٨ .

(٣) بحار الأنوار : ٧ / ٣٠٢ عن فروع الكافي ج ١ / ٢٣٩ .

(٤) نفس المصدر وهو حديث بمضمون الحديث الذي ذكره المؤلف وما بين القوسين ليس فيه . والبحار ٩٩ / ٣٨٧ .

(٥) البحار : ٩٩ / ٣٨٧ و ٧ / ٣٠٢ .

من عرضت له فاحشة [1] أو شهوة فاجتنبها من مخافة الله عزَّ وجلَّ حرم الله عليه النار وآمنه من الفزع الأكبر [2] .

* السادس : من كظم غيظاً .

* وروى الشيخ الأجل علي بن إبراهيم القمي عن الإمام الباقر عليه السلام :

من كَظَم غيظاً وهو يقدر على إمضائه حشا الله قلبه أمناً وإيماناً يوم القيامة [3] .

* السابع : ولاية أهل البيت عليهم السلام :

* قال الله تعالى في سورة النمل :

﴿ من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ﴾ .

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام :

الحسنة معرفة الولاية وحبنا أهل البيت [4] .

* الثامن : من أغاث ملهوفاً . .

* روى الشيخ الصدوق عن الإمام الصادق عليه السلام :

من أغاث أخاه المؤمن اللهفان عند جهده فنفَّس كربته وأعانه على نجاح حاجته كانت له بذلك عند الله اثنتان وسبعون رحمة من الله يعجل له منها واحدة يصلح بها معيشته ، ويدَّخر له إحدى وسبعين رحمة لأفزاع يوم القيامة وأهواله [5] .

---

(١) قال المؤلف في الهامش : أي زناً وكل سيئة تتجاوز الحد .
(٢) البحار : ٧ / ٣٠٣ .
(٣) نفس المصدر .
(٤) نفس المصدر / ٣٠٥ .
(٥) ثواب الأعمال / ١٧٩ .

* يقول المؤلف :

وردت روايات كثيرة في خصوص قضاء حوائج الإخوان في الدين منها ما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام :

من مشى في حاجة أخيه المسلم أظله الله بخمسة وسبعين ألف ملك ولم يرفع قدماً إلا كتب الله له بها حسنة وحط عنه بها سيئة ويرفع له بها درجة فإذا فرغ من حاجته كتب الله عزَّ وجلّ له بها أجر حاج ومعتمر [1] .

* وروي عن الإمام الصادق عليه السلام :

لقضاءُ حاجة امرء مؤمن أفضل من حجة وحجة وحجة حتى عد عشر حجج [2] .

* وروي أن عابد بني إسرائيل كان إذا بلغ الغاية في العبادة صار مشاءً في حوائج الناس[3] .

أي أنه كان إذا أصبح في طليعة العباد يختار من بين كل العبادات عبادة قضاء حوائج الناس .

* وروى الشيخ الجليل شاذان بن جبرئيل القمي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه رأى ليلة المعراج هذه الكلمات على الباب الثاني من أبواب الجنة :

لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله لكل شيء حلية وحلية السرور في الآخرة أربع خصال : مسح رأس اليتامى والعطف على الأرامل والسعي في حوائج المسلمين ونفقة الفقراء والمساكين[4] .

---

(١) سفينة البحار حوج ١ / ٣٥٣ .
(٢) نفس المصدر / ٣٥١ .
(٣) نفس المصدر / ٣٥٣ .
(٤) معاد جسماني يا سير المنازل (فارسي) / ٨١ .

* التاسع : قراءة القدر سبعاً على قبر المؤمن .

* روى الشيخ الكليني عن الإمام الرضا عليه السلام :

« من أتى قبر أخيه ثم وضع يده على القبر وقرأ إنا أنزلناه في ليلة القدر سبع مرات أمن يوم الفزع الأكبر أو يوم الفزع » [1] .

وهذا الأمن من الفزع الأكبر يمكن أن يكون للقاريء كما هو ظاهر الخبر ويحتمل أن يكون للميت كما يظهر من بعض الروايات . .

* وقد رأيت في مجموعة أن الشيخ الأجل الأفقه أبا عبد الله محمد بن مكي العاملي المعروف بالشيخ الشهيد (الأول) ذهب إلى زيارة قبر أستاذه الأجل العالم فخر المحققين نجل آية الله العلامة الحلي رحمهم الله وقال :

أنقل عن صاحب هذا القبر وقد نقل هو عن والده الماجد بسنده عن الإمام الرضا عليه السلام : من زار قبر أخيه المؤمن وقرأ عنده سورة القدر وقال :

اللّهم جافِ الأرض عن جنوبهم وصاعد إليك أرواحهم وزدهم منك رضواناً وأسكن إليهم من رحمتك ما تصل به وحدتهم وتؤنس وحشتهم إنك على كل شيء قدير أمن القاريء والميت من الفزع الأكبر[2] .

* يقول المؤلف :

قبر فخر المحققين بناءً على ما يظهر من كلام المجلسي الأول في شرح من لا يحضره الفقيه في النجف الأشرف ولعله قريباً من قبر والده العلامة رحمه الله في الإيوان المطهر .

---

(١) فروع الكافي : ٣ / ٢٢٩ .

(٢) الدعاء مذكور هنا حرفياً وأول النص وآخره مترجمان عن الفارسية فليلاحظ ذلك .

الفصل الخامس

الخروج من القبر

* من المحطات المهولة في القيامة الساعة التي يخرج فيها الإنسان من قبره . . وهي إحدى الساعات الثلاث التي هي أشد الساعات وأكثرها وحشة على ابن آدم . . [1] .

قال الله تعالى في سورة المعارج :

﴿ فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون . يوم يخرجون من الأجداث سراعاً كأنهم إلى نُصُبٍ يوفضون . خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون ﴾ .

أي يخرجون من قبورهم مسرعين كأنهم يرون علماً منصوباً ويسيرون نحوه بهذه السرعة . . في حين تكون أبصارهم خاشعة أي تنظر إلى الأسفل ولا يستطيعون النظر إلى الأعلى من شدة الهول وقد سيطرت عليهم الذلة .

* روي عن ابن مسعود أنه قال :

(١) هذا مضمون ما في بعض الروايات منها عن الإمام السجاد عليه السلام : أشد ساعات ابن آدم ثلاث : الساعة التي يعاين فيها ملك الموت والساعة التي يقوم فيها من قبره والساعة التي يقف فيها بين يدي الله تبارك وتعالى . البحار ٦ / ١٥٩ وفي بعض الروايات : إن أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مواطن الخ . البحار : ٦ / ١٥٨ .

كنت جالساً عند أمير المؤمنين عليه السلام فقال :

إن في القيامة لخمسين موقفاً كل موقف ألف سنة فأول موقف خرج من قبره حبسوا (كذا) ألف سنة عراة حفاة جياعاً عطاشاً فمن خرج من قبره مؤمناً بربه ومؤمناً بجنته وناره ومؤمناً بالبعث والحساب والقيامة مقراً بالله مصدقاً بنبيه صلى الله عليه وآله وسلم وبما جاء من عند الله عزَّ وجلَّ نجا من الجوع والعطش[1] .

* وقال أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة :

وذلك يوم يجمع الله فيه الأولين والآخرين لنقاش الحساب وجزاء الأعمال خضوعاً قياماً قد ألجمهم العرق ورجفت بهم الأرض وأحسنُهم حالاً من وجد لقدميه موضعاً ولنفسه متسعاً . .

* وروى الشيخ الكليني عن الإمام الصادق عليه السلام :

مثل الناس يوم القيامة إذا قاموا لرب العالمين مثل السهم في القرب ليس له من الأرض إلا موضع قدمه كالسهم في الكنانة لا يقدر أن يزول ههنا ولا ههنا[2] .

* وهذا الموقف ـ إجمالاً ـ موقف عظيم . . ومن المناسب أن نذكر هنا بعض الأخبار التي تبين حال بعض الأشخاص عند خروجهم من قبورهم .

* **الأول** : الشاك في فضل علي عليه السلام .

روى الشيخ الصدوق رحمه الله عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

الشاك في فضل علي بن أبي طالب عليه السلام يحشر يوم القيامة من قبره وفي عنقه طوق من نار فيه ثلاثمائة شعبة على كل شعبة منها شيطان يكلح في وجهه « أي يفزعه » ويتفل فيه[3] .

---

(١) البحار : ٧ / ١١١ .
(٢) نفس المصدر .
(٣) بحار الأنوار : ٧ / ١٩٢ .

* **الثاني** : من منع حق الله في ماله .

روى الشيخ الكُليني عن الإمام محمد الباقر عليه السلام :

إن الله تبارك وتعالى يبعث يوم القيامة ناساً من قبورهم مشدودة أيديهم إلى أعناقهم لا يستطيعون أن يتناولوا بها قيس أنملة معهم ملائكة يعيرونهم تعييراً شديداً يقولون : هؤلاء الذين منعوا خيراً قليلاً من خير كثير . . هؤلاء الذين أعطاهم الله فمنعوا حق الله في أموالهم [1] .

* **الثالث** : من مشى في نميمة :

روى الشيخ الصدوق عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حديث طويل :

من مشى في نميمة بين اثنين سلط الله عليه في قبره ناراً تحرقه إلى يوم القيامة فإذا خرج من قبره سلط الله تعالى عليه أسود ينهش لحمه حتى يدخل النار [2] .

* **الرابع** : أيضاً روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم :

« . . . من ملأ عينه من مرأة حراماً حشره الله يوم القيامة مسمَّراً بمسامير من نار حتى يقضي الله تعالى بين الناس ثم يؤمر به إلى النار »[3] .

* **الخامس** : وروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم :

إن شارب الخمر يجيء يوم القيامة مسوداً وجهه مزرقة عيناه مائلاً شدقه سائلاً لعابه دالعاً لسانه من قفاه [4] وفي علم اليقين للمحدث الفيض : روي في الصحيح :

إن شارب الخمر يحشر والكوز معلق في عنقه والقدح بيده وهو أنتن من كل

---

(١) نفس المصدر : ١٩٧ .
(٢) نفس المصدر / ٢١٤ .
(٣) المصدر السابق .
(٤) نفس المصدر / ٢١٨ .

جيفة على وجه الأرض يلعنه كل من يمر به من الخلائق [1] .

* وروى الشيخ الصدوق عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال :

يجيء يوم القيامة ذو الوجهين دالعاً لسانه في قفاه وآخر من قدامه يلتهبان ناراً حتى يلهبا جسده ، ثم يقال له : هذا الذي كان في الدنيا ذا وجهين ولسانين يعرف بذلك يوم القيامة [2] .

(1) علم اليقين : ٢ / ٩١٠ .

(2) بحار الأنوار ٧ / ٢١٨ عن ثواب الأعمال للصدوق .

* ما ينجي من أهوال يوم القيامة . . .

* اعلم أن الأمور النافعة لهذا الموقف كثيرة ونحن نشير إلى عدد منها . .

* **الأول** : تشييع الجنائز :

جاء في حديثٍ : أن من شيع جنازة وكل الله تعالى به ملائكة معهم رايات يشيعونه من قبره إلى محشره[1] .

* **الثاني** : تنفيس كربة المؤمن :

روى الشيخ الصدوق عن الإمام الصادق عليه السلام :

من نفَّس عن مؤمن كربة نفَّس الله عنه كرب الآخرة وخرج من قبره ثلج الفؤاد . . »[2] .

* **الثالث** : إدخال السرور على المؤمن :

روى الشيخ الكليني والشيخ الصدوق عن سدير الصيرفي في خبر طويل عن الإمام الصادق عليه السلام : إذا بعث الله المؤمن من قبره خرج معه مثال من قبره يقدمه أمامه ، وكلما رأى المؤمن هولاً من أهوال يوم القيامة قال له المثال : لا تحزن ولا تفزع وأبشر بالسرور والكرامة من الله حتى يقف بين يدي الله جلَّ جلاله

---

(١) بحار الأنوار : ٨١ / ٢٦٣ ومستدرك الوسائل ١ / ١١٩ .
(٢) ثواب الأعمال / ١٧٩ والكافي ـ الإيمان والكفر باب تفريج كرب المؤمن ح ٣ .

فيحاسبه حساباً يسيراً ويأمر به إلى الجنة والمثال أمامه ، فيقول له المؤمن : رحمك الله نعم الخارج كنت معي من قبري وما زلت تبشرني بالسرور والكرامة حتى رأيت ذلك فمن أنت ؟

فيقول له : أنا السرور الذي كنت أدخلته على أخيك المؤمن خلقني الله منه لأبشرك [1] .

* **الرابع** : كسوة المؤمن :

روى الشيخ الكليني أيضاً عن الإمام الصادق عليه السلام : من كسا أخاه كسوة شتاء أو صيف كان حقاً على الله أن يكسوه من ثياب الجنة وأن يهون عليه سكرات الموت وأن يوسع عليه في قبره وأن يلقى الملائكة إذا خرج من قبره بالبشرى وهو قول الله عزَّ وجلَّ في كتابه :

﴿ **وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون** ﴾ (الأنبياء : ١٠٣) [2] .

* **الخامس** : هذا الذكر :

روى السيد بن طاووس في كتاب الإقبال عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن من قال في شهر شعبان ألف مرة :

« **لا إله إلاَّ الله ولا نعبد إلاَّ إياه مخلصين له الدين ولو كره المشركون** » كتب الله تعالى له عبادة ألف سنة ومحى عنه ذنوب ألف سنة ويخرج من قبره يوم القيامة ووجهه يضيء كالقمر في الليلة الرابعة عشر ويكتب من الصديقين [3] .

* **السادس** :

قراءة دعاء الجوشن الكبير أول شهر رمضان (ختم ذكره حتم » [4] .

---

(١) نفس المصدر / ١٨٠ .

(٢) أصول الكافي ـ الإيمان والكفر ـ باب من كسا مؤمناً . وقد تقدم في « سكرات الموت » مع ذكر مصادر أخرى .

(٣) النص هنا بالمضمون .

(٤) اكتفى المؤلف هنا بما ذكر والمراد بقوله « ختم الخ » أن هذا الختم أي قراءة دعاء الجوشن =

وقد رأينا من المناسب أن ننقل هنا خبراً مناسباً للمقام .

* روى الشيخ الأجل أمين الدين الطبرسي رحمه الله في مجمع البيان عن البراء بن عازب أنه قال : كان معاذ بن جبل جالساً قريباً من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في منزل أبي أيوب الأنصاري فقال معاذ :

يا رسول الله أرأيت قول الله تعالى : ﴿ يوم ينفخ في الصُّور فتأتون أفواجاً ﴾ الآيات . . فقال : يا معاذ سألت عن عظيم من الأمر ثم أرسل عينيه ثم قال :

تحشر عشرة أصناف من أمتي أشتاتاً قد ميّزهم الله تعالى من المسلمين وبدّل صورهم فبعضهم على صورة القردة ، وبعضهم على صورة الخنازير ، وبعضهم منكسون أرجلهم من فوق ووجوههم من تحت ثم يسحبون عليها ، وبعضهم عمي يترددون ، وبعضهم بُكْمٌ لا يعقلون وبعضهم يمضغون ألسنتهم يسيل القيح من أفواههم لعاباً يتقذرهم أهل الجمْع ، وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم ، وبعضهم مصلّبون على جذوع من نار ، وبعضهم أشد نتناً من الجيف ، وبعضهم يلبسون جباباً (جمع جُبة) سابغة من قطران لازقة بجلودهم . .

فأما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس ، وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت ، وأما المنكسون على رؤوسهم فأكلة الربا ، والعمي الجائرون في الحكم ، والصم والبكم : المعجبون بأعمالهم . والذين يمضغون بألسنتهم فالعلماء والقضاة الذين خالفت أعمالهم أقوالهم . .

والمقطعة أيديهم وأرجلهم الذين يؤذون الجيران ، والمصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس إلى السلطان . .

= يجب ذكره لأهميته وقد اورد في مفاتيح الجنان حديثا عن الإمام السجاد عليه السلام حول أهمية دعاء الجوشن وقد ورد فيه الحث على قراءته في أوقات متعددة منها أول شهر رمضان المبارك / المفاتيح / ٨٦ . ومعنى الجوشن الصدر والدرع وسمي الدعاء به - كما روي - لأن الرسول صلى الله عليه وآله كان يلبس درعاً ثقيلاً عندما نزل جبرئيل وعلمه هذا الدعاء .

والـذين هم أشـد نتنـاً من الجيف فـالـذين يتمتعـون بـالشهـوات واللذات ويمنعون حق الله في أموالهم ، والذين يلبسون الجباب فأهل التجبر والخيلاء [1] .

---

(١) بحار الأنوار ٧ / ٨٩ عن مجمع البيان .

الفصل السادس

الميزان

* أحد المواقف المهولة في القيامة . . موقف الميزان ووزن الأعمال . .

قال الله تعالى ، في أوائل سورة الأعراف :

﴿ **والوزن يومئذٍ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه[1] فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون** ﴾ أي يكفرون بآياتنا بدل أن يصدقوا بها .

وفي سورة القارعة قال تعالى :

﴿ **القارعة ما القارعة** ﴾ إلى قوله تعالى :

﴿ **فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ما هيه نار حامية** ﴾ .

وخلاصة معنى السورة الشريفة : تسمى القيامة القارعة لأنها تقرع القلوب بالخوف والفزع . . يوم يكون الناس كالفراش المنتشر وتكون الجبال كالصوف

---

(١) قال المؤلف : قال المفسرون : إن السبب في ذكر الله تعالى الموازين بصيغة الجمع هو أن لكل نوع من أنواع الطاعات ميزان . . ويمكن أن يكون جمع « موزون » أي الأعمال الموزونة .

المنفوش المصبوغ . . فمن ثقلت حسناته فهو في عيشة راضية ومن خفت حسناته فهو من أهل النار .

* إعلم أنه قد لا يوجد أي عمل نافع لثقل الميزان مثل الصلاة على رسول الله وآله صلوات الله عليهم أجمعين ومثل حسن الخلق .

وأنا أُزيِّن هنا كتابي بذكر عدة أخبار في فضل الصلوات وثلاث روايات مع عدة قصص حول حسن الخلق .

* **الأول** : روى الشيخ الكليني بسند معتبر عن الإمام الباقر أو الإمام الصادق عليهما السلام :

ما في الميزان شيء أثقل من الصلاة على محمد وآل محمد وإن الرجل لتوضع أعماله في الميزان فتميل به فيُخرج صلى الله عليه وآله الصلاة عليه فيضعها في ميزانه فيرجح[1] .

* **الثاني** : روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال :

أنا عند الميزان يوم القيامة فمن ثقلت سيئاته على حسناته جئت بالصلاة علي حتى أثقل بها حسناته[2] .

* **الثالث** : روى الشيخ الصدوق رحمه الله عن الإمام الرضا عليه السلام :

من لم يقدر على ما يكفر به ذنوبه فليكثر من الصلاة على محمد وآله فإنها تهدم الذنوب هدماً[3] .

* **الرابع** : نقل عن « دعوات الراوندي » أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :

من صلّى عليَّ كل يوم ثلاث مرات وفي كل ليلة ثلاث مرات حباً لي وشوقاً

---

(١) أصول الكافي ـ باب الصلاة على النبي وآله ح ١٥ .
(٢) بحار الأنوار ٩٤ / ٥٧ .
(٣) نفس المصدر / ٤٧ .

إلي كان حقاً على الله عزَّ وجلَّ أن يغفر له ذنوبه تلك الليلة وذلك اليوم [1] .

* الخامس : وروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال :

رأيت في ما يرى النائم عمي حمزة بن عبد المطلب وأخي جعفر بن أبي طالب وبين يديهما طبق من نبق فأكلا ساعة فتحول النبق عنباً فأكلا ساعة فتحول العنب لهما رطباً فأكلا ساعة ، فدنوت منهما وقلت : بأبي أنتما أي الأعمال وجدتما أفضل ؟ قالا : فديناك بالآباء والأمهات وجدنا أفضل الأعمال الصلاة عليك وسقي الماء وحب علي بن أبي طالب [2] .

* السادس : وأيضاً روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم : من صلى عليَّ في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب [3] .

* السابع : روى الشيخ الكليني عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال :

إذا ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأكثروا الصلاة عليه فإنه من صلى على النبي صلى الله عليه وآله صلاة واحدة صلى الله عليه ألف صلاة في ألف صف من الملائكة ولم يبق شيء مما خلقه الله إلا صلى على العبد لصلاة الله عليه وصلاة ملائكته فمن لم يرغب في هذا فهو جاهل مغرور قد برىء الله منه ورسوله وأهل بيته .

* يقول الفقير :

روى الشيخ الصدوق في « معاني الأخبار » عن الإمام الصادق عليه السلام في معنى الآية : إن الله وملائكته يصلون على النبي . . الآية أنه قال :

الصلاة من الله عزَّ وجلَّ رحمة ومن الملائكة تزكية ومن الناس دعاء قال الراوي : فقلت له : فكيف نصلي على محمد وآله ؟

---

(١) نفس المصدر ٧٠ عن الدعوات للقطب الراوندي .
(٢) المصدر السابق .
(٣) نفس المصدر / ٧١ عن « منية المريد » .

قال : تقولون : صلوات الله عليه وصلاة ملائكته وأنبيائه ورسله وجميع خلقه على محمد وآل محمد والسلام عليه وعليهم ورحمة الله وبركاته قال : فقلت : فما ثواب من صلى على النبي وآله بهذه الصلاة ؟

قال : الخروج من الذنوب والله كهيئته يوم ولدته أمه [1] .

* الثامن : روى الشيخ أبو الفتوح الرازي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال :

عندما وصلت إلى السماء ليلة المعراج رأيت ملكاً له ألف يد في كل يد ألف إصبع مشغولاً بالحساب والعد . . فسألت جبرئيل : من هو هذا الملك . . وماذا يحسب . . قال جبرئيل : هذا ملك موكل بقطرات المطر يحصي كم قطرة تنزل من السماء إلى الأرض .

فقلت لذلك الملك :

أنت تعلم كم قطرة من المطر نزلت من السماء إلى الأرض منذ خلق الله الدنيا . .

قال : يا رسول الله والذي بعثك بالحق إلى الخلق إني لأعلم بالإضافة إلى ما ذكرت كم قطرة نزلت في الصحراء وكم قطرة نزلت في المعمورة وكم قطرة في البساتين وكم قطرة في الأرض المالحة وكم قطرة في المقابر . .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : فعجبت من حفظه وتذكره في حسابه . .

قال : يا رسول الله وإني مع حفظي هذا وتذكري وأيدي وأصابعي لعاجز عن حساب شيء واحد . قلت : ما هو ؟ .

قال : قوم من أمتك يجتمعون في مكان فيذكر اسمك أمامهم فيصلون

---

(1) معاني الأخبار / ٣٥٠ .

عليك . . فإني لا أستطيع إحصاء ثوابهم . . [1]

* التاسع : روى الشيخ الكليني هذه الصلوات عصر الجمعة :

اللَّهم صل على محمد وآل محمد الأوصياء المرضيين بأفضل صلواتك وبارك عليهم بأفضل بركاتك والسلام عليه وعليهم ورحمة الله وبركاته .

وقال بعدها :

وروى أن من قالها سبع مرات رد الله عليه من كل عبد حسنة وكان عمله في ذلك اليوم مقبولاً وجاء يوم القيامة وبين عينيه نور [2] .

*** العاشر :**

روي أن من قال بعد صلاة الصبح وصلاة الظهر :

اللَّهم صل على محمد وآل محمد وعجل فرجهم . لم يمت حتى يدرك القائم عليه السلام .

*** وأما روايات حسن الخلق**

الرواية الأولى :

نقل عن أنس بن مالك أنه قال :

كنت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعليه برد (ثوب) غليظ الحاشية فجذبه أعرابي بردائه جذبة شديدة حتى أثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال : يا محمد إحمل لي على بعيريَّ هذين من مال الله الذي عندك فإنك لا تحمل لي من مالك ولا مال أبيك . .

فسكت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال : المال مال الله وأنا عبده ثم قال : ويقاد (يقتص) منك يا أعرابي ما فعلت بي قال : لا . قال : ولم ؟ قال : لأنك لا تكافيء بالسيئة السيئة فضحك النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم أمر أن

---

(١) النص هنا بالمضمون .

(٢) مرآة العقول ١٥ / ٣٦٩ - ٣٧٠ .

يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر [1].

* يقول المؤلف :

إنما أذكر هذه الروايات في هذا المقام للتبرك والتيمن لا لأجل بيان حسن خلق حضرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو أئمة الهدى عليهم السلام لأن من وصفه الحق تعالى في القرآن الكريم بالخلق العظيم وألف علماء الفريقين كتباً في سيرته وخصاله الحميدة ولم يحصوا بجميع ذلك عشر المعشار . . لا تكون كتابتي بهدف بيان حسن خلقه . . إلا سماجة . . ولقد أجاد من قال :

محمد سيد الكونين والثقلين	والفريقين من عرب ومن عجم
فاق النبيين في خلق وفي خلق	ولم يدانوه في علم ولا كرم
وكلهم من رسول الله ملتمس	غرفاً من البحر أو رشفاً من الديم
وهو الذي تم معناه وصورته	ثم اصطفاه حبيباً بارىء النسم
منزه عن شريك في محاسنه	فجوهر الحسن فيه غير منقسم
فمبلغ العلم فيه أنه بشر	وأنه خير خلق الله كلهم

* الرواية الثانية :

نقل عن عصام بن المصطلق أنه قال :

دخلت المدينة فرأيت الحسين بن علي فأعجبني سمته ورواؤه وأثار من الحسد ما كان يخفيه صدري لأبيه من البغض فقلت له أنت ابن أبي تراب فقال : نعم فبالغت في شتمه وشتم أبيه ، فنظر إلي نظرة عاطف رؤوف ثم قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون ثم قال لي : خفِّض عليك أستغفر الله لي ولك إنك لو

---

(1) سفينة البحار (خلق) ١ / ٤١٢ .

استعنتنا لأعناك ولو استرفدتنا لرفدناك ولو استرشدتنا لأرشدناك . . قال عصام : فتوسم مني الندم على ما فرط مني فقال : لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين . أمن أهل الشام أنت ؟ قلت : نعم فقال : شنشنة أعرفها من أخزم حيانا الله وإياك إنبسط إلينا في حوائجك وما يعرض لك تجدني عند أفضل ظنك إن شاء الله تعالى :

قال عصام : فضاقت عليَّ الأرض بما رحبت ووددت لو ساخت بي ثم سللت منه لواذاً وما على الأرض أحب إلي منه ومن أبيه[1] .

* يقول المؤلف :

أورد صاحب الكشاف في ذيل الآية الشريفة لا تثريب عليكم اليوم التي استشهد بها سيد الشهداء عليه السلام رواية في حسن الخلق ، من المناسب ذكرها هنا وهي :

* يروى أن إخوة يوسف لما عرفوه . . كان يدعوهم إلى طعامه بكرة وعشياً فأرسلوا إليه :

إنك تدعونا إلى طعامك بكرة وعشية ونحن نستحيي منك لما فرط منافيك فقال يوسف :

إن أهل مصر وإن ملكت فيهم فإنهم ينظرون إلي بالعين الأولى ويقولون : سبحان من بلّغ عبداً بيع بعشرين درهماً ما بلغ ولقد شرفت بكم الآن وعظمت في العيون حيث علم الناس أنكم إخوتي وأني من حفدة إبراهيم[2] .

* وروى أيضاً أن يعقوب ويوسف عليهما السلام لما التقيا قال يعقوب : أخبرني يا بني بما جرى لك . .

قال يوسف : لا تسلني يا والدي عما فعل إخوتي بي . . ولكن سلني عما فعل

---

(١) المصدر السابق / ٤٢١ .
(٢) الكشاف ـ ٢ / ٥٠٣ .

الله تعالى بي . .

والرواية الثالثة : رواها الشيخ المفيد والآخرون وهي :

« أن رجلًا من وُلد عمر بن الخطاب كان بالمدينة يؤذي أبا الحسن موسى الكاظم عليه السلام ويسبه إذا رآه ويشتم علياً عليه السلام فقال له بعض جلسائه يوماً : دعنا نقتل هذا الفاجر فنهاهم عن ذلك أشد النهي وزجرهم أشد الزجر فسأل عن العُمري فذكر أنه يزرع بناحية من نواحي المدينة ، فركب إليه فوجده في مزرعة له فدخل المزرعة بحماره فصاح به العمري لا توطأ زرعنا فتوطأه أبو الحسن عليه السلام بالحمار حتى وصل إليه فنزل وجلس عنده وباسطه وضاحكه وقال له : كم غرمت في زرعك هذا فقال له مائة دينار .

قال : وكم ترجو أن تصيب ؟ .

قال : لست أعلم الغيب . .

قال له : إنما قلت لك (كم) ترجو أن يجيئك فيه ؟

قال : أرجو أن يجيئني فيه مائتا دينار . .

قال . . فأخرج أبو الحسن عليه السلام صرة فيها ثلاثمائة دينار وقال هذا زرعك على حاله والله يرزقك فيه ما ترجو .

قال (الراوي) فقام العمري فقبل رأسه وسأله أن يصفح عن فارطه (عما سبق منه إليه) فتبسم إليه أبو الحسن عليه السلام وانصرف .

قال الراوي : وراح (الإمام الكاظم) إلى المسجد (ذات يوم) فوجد العُمري جالساً . . فلما نظر (العمري) إليه قال :

الله أعلم حيث يجعل رسالته . . فوثب إليه أصحابه فقالوا له : ما قصتك ؟ . قد كنت تقول غير هذا فقال لهم : قد سمعتم ما قلت الآن وجعل يدعو لأبي الحسن عليه السلام فخاصموه وخاصمهم فلما رجع أبو الحسن عليه السلام إلى داره قال لجلسائه الذين سألوه في قتل العمري : أيما (أيهما) كان خيراً ما أردتم أو ما أردت إنني أصلحت أمره بالمقدار الذي عرفتم وكفيت به

شره . . [1] .

وأما حكايات حسن الخلق فهي كما يلي . . .

(١) الإرشاد ـ ٢٩٧ .

* القصة الأولى . . .

* كان مالك الأشتر رحمه الله ماراً في سوق الكوفة وعليه قميص خام وعمامة من خام أيضاً . . فرآه شخص يغلب عليه الطيش فاحتقره لثيابه العادية هذه . . ورماه ببندقة طين فلم يلتفت إليه الأشتر ومضى . .

فقيل له : هل تعرف من رميت ؟

قال : لا . . قيل : هذا مالك الأشتر صاحب أمير المؤمنين عليه السلام . .

وقد كان حديث مالك بين الناس على كل شفة ولسان . .

فارتعد الرجل . . وتبع الأشتر ليعتذر إليه . . فوجده قد دخل مسجداً . . وهو قائم يصلي . .

فلما فرغ من صلاته وقع الرجل على قدميه يقبلهما فقال الأشتر : ما هذا . .

قال : أعتذر إليك مما صنعت .

قال الأشتر : لا بأس عليك فوالله ما دخلت المسجد إلا لأستغفر لك[1] .

* يقول المؤلف : لاحظ كيف أن هذا الرجل العظيم تأثر بأخلاق أمير المؤمنين عليه السلام . . وكيف تصرف رغم أنه كان من أمراء جيش أمير المؤمنين وكان شجاعاً شديد الشوكة . . وقد بلغت شجاعته حداً بحيث أن ابن أبي الحديد

---

(١) سفينة البحار (شتر) ١ / ٦٨٦ بتصرف .

« لله أمٌ قامت عن الأشتر لو أن إنساناً يقسم أن الله تعالى ما خلق في العرب ولا في العجم أشجع منه إلا أستاذه علي بن أبي طالب عليه السلام لما خشيت عليه الإثم ولله در القائل وقد سئل عن الأشتر : ما أقول في رجل هزمت حياته أهل الشام وهزم موته أهل العراق وبحق ما قال فيه أمير المؤمنين عليه السلام كان الأشتر لي كما كنت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال أمير المؤمنين لأصحابه : وليت فيكم اثنان مثله بل ليت فيكم مثله واحد (يرى في عدوي مثل رأيه [1] . . وتظهر شدة شوكته من التأمل في هذه الأبيات المروية عنه :

بقيت وفراً وانحرفت عن العلى	ولقيت أضيافي بوجه عبوس
إن لم أشنَّ على ابن هند غارةً	لم تخل يوماً من نهاب نفوس
خيلاً كأمثال السعالى شرباً	تغدو ببيض في الكريهة شوس
حَمِيَ الحديد عليهم فكأنهم	وَمَضَاتُ برق أو شعاع شموس[2]

ورغم هذا المقام من الجلالة والشجاعة وشدة الشوكة بلغ حسن خلقه هذه المرتبة . . بحيث أن رجلاً طائشاً يهينه ويستهزيء به فلا يتأثر لذلك أبداً بل يمضي إلى المسجد ليصلي ويدعو ويستغفر له . .

وإذا تأملت جيداً أدركت أن شجاعته هذه وغلبته نفسه وهواه أهم من شجاعته البدنية قال أمير المؤمنين عليه السلام :

أشجع الناس من غلب هواه

* * *

---

(١) المصدر السابق ومن الواضح أن مفروض الكلام أن المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم أشجع خلق الله وأن القسم على أشجع الناس بعده ، وإن لم يكن ذلك مفترضاً فإن المقسم بالله تعالى يخشى عليه الإثم بل يقع فيه لأن أمير المؤمنين عليه السلام صرح بأن المصطفى أشجع منه .

(٢) نفس المصدر .

* القصة الثانية . . .

نقل شيخنا المرحوم في خاتمة « المستدرك » في ترجمة سلطان العلماء والمحققين وأفضل الحكماء والمتكلمين الوزير الأعظم وأستاذ من تأخر وتقدم المحقق الشيخ نصير الدين الطوسي . . ما يلي :

« ومما اتفق له أن شخصاً أرسل إليه ورقة يشتمه ومن جملة ما فيها : يا كلب بن كلب فكان جوابه عليه الرحمة هادئاً جداً . . ومن الجواب : وأما قوله يا كذا فليس بصحيح لأن الكلب من ذوات الأربع وهو نابح طويل الأظفار وأما أنا فمنتصب القامة بادي البشرة عريض الأظفار ناطق ضاحك فهذه الفصول والخواص غير تلك الفصول والخواص »[1] .

وهكذا رد على سائر فقرات ما ورد في ورقته بغاية المتانة وألقاه في غيابة جب المهانة .

* يقول المؤلف :

لا عجب في هذا الخلق الشريف للمحقق الجليل لأن آية الله العلامة الحلي رحمه الله يقول فيه : وكان هذا الشيخ أفضل أهل عصره في العلوم العقلية والنقلية وله مصنفات كثيرة في العلوم الحكمية والشرعية على مذهب الإمامية وكان أشرف

(١) مستدرك الوسائل ٣ / ٤٦٤ .

من شاهدناه في الأخلاق نوَّر الله ضريحه [1] .

يقول الفقير : وهنا محل التمثل بهذا البيت :

« كل عطر شممته من المسك والقرنفل

فهو من أريج تلك الغرة التي هي كالسنبل » [2]

تحلى المحقق الطوسي بحسن الخلق هذا بالإلتزام بتوجيهات أمير المؤمنين عليه السلام الذي سمع :

« رجلاً يشتم قنبراً وأراد قنبر أن يرد عليه فناداه أمير المؤمنين عليه السلام مهلاً يا قنبر دع شاتمك مهاناً ترضي الرحمن وتسخط الشيطان وتعاقب عدوك فوالذي فلق الحبة وبرء النسمة ما أرضى المؤمن ربه بمثل الحلم ولا أسخط الشيطان بمثل الصمت ولا عوقب الأحمق بمثل السكوت عنه » [3] .

وقد مدح المخالف والمؤالف المحقق الطوسي . . قال جرجي زيدان في آداب اللغة العربية في ترجمته :

أنشأ مكتبة وشحنها بالكتب التي زادت على الأربعمائة ألف كتاباً « وأقام المنجمين والفلاسفة ووقف عليها الأوقاف فزهى العلم في بلاد المغول على يد هذا الفارسي كأنه قبس منير في ظلمة مدلهمة » وقد أوردت ترجمته في كتاب « الفوائد الرضوية » الذي هو في تراجم علماء الإمامية بما يتناسب مع ذلك الكتاب وذكرت أنه رحمه الله من « وشاره » التي هي من توابع « جهرود » على عشرة فراسخ من قم إلا أنه ولد في طوس في الحادي عشر من جمادى الأولى سنة ٥٩٧ وتوفي في أواخر يوم الإثنين الثامن عشر من ذي الحجة سنة ٦٧٢ ودفن في البقعة الكاظمية المنورة سلام الله على ساكنيها وكُتب على لوح مزاره « وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد » وقد نظم بعضهم تاريخ وفاته شعراً .

---

(١) نفس المصدر / ٤٦٥ .

(٢) السنبل نبات عطر والمراد كما سيوضح المؤلف أن كل خلق حسن تجده في سيرة العلماء . . فمرده إلى الخلق العظيم للمصطفى وآل بيته صلوات الله عليه وعليهم .

(٣) سفينة البحار (حلم) ١ / ٣٠٠ .

* القصة الثالثة . . .

ذات يوم كان شيخ الفقهاء العظماء المرحوم الشيخ جعفر صاحب « كشف الغطاء » رحمه الله في أصفهان . . وقبل أن يبدأ صلاة الجماعة وزع مبلغاً من المال على الفقراء . . ثم افتتح الصلاة وبعد انتهائه من الصلاة الأولى . . وبين الصلاتين جاء سيد فقير لم يكن حاضراً عند تقسيم المال وعرف بذلك . . فقال للشيخ :

أعطني من مال جدي . .

قال الشيخ : لقد جئت متأخراً ولم يبق لديَّ شيء أعطيك إياه . .

فغضب السيد وبصق في وجه الشيخ . . فقام الشيخ في المحراب وأخذ طرف ردائه بيده ودار بين صفوف المصلين وهو يقول : من كان يحب لحية الشيخ فليساعد السيد . . وملأ الناس طرف رداء الشيخ بالمال فأعطاه الشيخ للسيد ثم وقف يصلي . . [1]

* تأمل جيداً في هذا الخُلق الشريف وإلى أي حدٍ بلغ بهذا العظيم الذي كان رئيس المسلمين وحجة الإسلام وفقيه أهل البيت عليهم السلام وكانت فقاهته

---

(١) يذكر المؤلف رحمه الله في « سفينة البحار » (شتر) أن الشيخ جعفر كاشف الغطاء من نسل مالك الأشتر رضي الله عنهما .

بحيث أنه ألف كتاب « كشف الغطاء » في السفر ونقل عنه أنه كان يقول : لو محيت الكتب الفقهية كلها فإني أكتب دورة فقهية كاملة من الطهارة حتى الديات عن ظهر قلب . . وكان أولاده جميعاً فقهاء وعلماء أجلة .

* قال شيخنا ثقة الإسلام النوري رحمه الله في ترجمته : « وإن تأملت في مواظبته للسنن والآداب وعباداته ومناجاته في الأسحار ومخاطبته نفسه :

كنت جعيفراً[1] ثم صرت جعفراً ثم الشيخ جعفر ثم شيخ العراق ثم رئيس الإسلام وبكاءه وتذلله لرأيته من الذين وصفهم أمير المؤمنين عليه السلام من أصحابه للأحنف بن قيس »[2] .

* يقول الفقير :

جاء كلام أمير المؤمنين عليه المشار إليه في حديث طويل يصف فيه الإمام أصحابه للأحنف بعد حرب الجمل وفيه قوله عليه السلام :

فلو رأيتهم في ليلتهم وقد نامت العيون وهدأت الأصوات وسكنت الحركات من الطير في الوكور وقد نهنهم (مَنَعهم) هول يوم القيامة والوعيد عن الرقاد كما قال سبحانه : أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون فاستيقظوا لها فزعين وقاموا إلى صلاتهم معولين باكين تارة وأخرى مسبحين يبكون في محاريبهم (. . . .) فلو رأيتهم يا أحنف في ليلتهم قياماً على أطرافهم منحنية ظهورهم يتلون أجزاء القرآن لصلاتهم قد اشتد إعوالهم ونحيبهم وزفيرهم ، إذا زفروا خلت النار قد أخذت منهم إلى حلا قيمهم وإذا أعولوا حسبت السلاسل قد صفدت في أعناقهم فلو رأيتهم في نهارهم إذاً لرأيت قوماً يمشون على الأرض هوناً ويقولون للناس حسناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً وإذا مروا باللغو مروا كراماً قد قيدوا أقدامهم من التهمات وأبكموا ألسنتهم أن يتكلموا في أعراض الناس وسجموا أسماعهم أن يلجها خوض خائض وكحلوا أبصارهم بغض البصر

---

(١) المتعارف عند بعض العراقيين مناداة من اسمه جعفر بـ « جعيفر » تصغير جعفر .

(٢) المستدرك ٣ / ٣٩٨ .

عن المعاصي وانتحوا دار السلام التي من دخلها كان آمناً من الريب والأحزان » .

* أقول : ويناسب هنا نقل كلام من راهب عظيم الشأن وهو ما نقل عن قثم الزاهد قال :

رأيت راهباً على باب بيت المقدس كالواله فقلت له أوصني فقال : كن كرجل احتوشته السباع فهو خائف مذعور يخاف أن يسهو فتفترسه أو يلهو فتنهشه فليله ليل مخافة إذا أمِنَ فيه المغترون ، ونهاره نهار حزن إذا فرح فيه البطالون . ثم إنه ولى وتركني فقلت له زدني فقال : إن الظمآن يقنع بيسير الماء .

* القصة الرابعة . . .

يـروى أن الصاحب بن عبـاد طلب ذات يوم شرابـاً . . فجاء أحـد غلمانـه بشربة في قدح . . وقدمه إليه . .

وعندما أراد الصاحب أن يشرب . . قال له أحد الحاضرين من خواصه :

لا تشرب . . فإنه شراب ديف فيـه السم وكان الغـلام الذي جـاء بالقـدح ما يزال واقفاً . .

قال الصاحب : ما دليلك على صحة ما تقول ؟

قال : تجربه في الذي ناولك إياه .

قال : لا أستجيز ذلك ولا أستحله .

قال : فجربه في دجاجة .

قال : التمثيل بالحيوان لا يجوز .

ورد الصـاحب القدح وأمـر بقلبه وقـال للغلام : انصرف ولا تـدخل داري وأمر بإقرار جاريه (مُرتبه) وجرايته عليه وقال : لا يدفع اليقين بـالشك والعقـوبة بقطع الرزق نذالة (١) .

---

(١) سفينة البحار (صحب) ٢ / ١٤ بتصرف .

* يقول المؤلف :

كان الصاحب بن عباد من وزراء آل بويه (البويهيين) وكان ملاذ الخواص والعوام ومرجع الشعب والدولة . . وكان من أسرة شريفة عزيزة . . وكان أعجوبة دهره وفريد عصره في الأدب والفضل والكمال والعربية نقل أنه عندما كان يجلس للإملاء كان يجتمع خلق كثير للإستفادة منه بحيث أنه كان يجلس ستة مستملين ينقلون كلامه للحاضرين . . وكانت كتب اللغة التي جمعها تحتاج في حملها إلى ستين جملاً وقد كان للعلويين والسادات والعلماء والفضلاء لديه منزلة رفيعة ومرتبة منيعة . . وكان يكرم العلماء ويشجعهم على التصنيف والتأويل وقد ألف له شيخنا الفاضل الخبير الشيخ حسن بن محمد القمي تارخ قم وألف له الشيخ الأجل رئيس المحدثين الصدوق رحمه الله كتاب « عيون أخبار الرضا » عليه السلام وألف الثعالبي له « يتيمة الدهر » وكانت كثرة فضله وإحسانه إلى الفقهاء والعلماء والسادات والشعراء معروفة وكان يرسل كل عام خمسة آلاف آشرفي (دينار) إلى بغداد لفقهائها .

وكان يبقي كل شخص يدخل عليه بعد العصر في شهر رمضان للإفطار في منزله فكان يجتمع عنده وقت الإفطار في كل ليلة من ليالي شهر رمضان آلاف الأشخاص .

وكانت صدقاته وعطاياه في شهر رمضان تعادل جميع ما يعطيه للناس في جميع السنة وله أشعار كثيرة في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ومثالب أعدائه .

وكانت وفاته بالري في الرابع والعشرين من صفر سنة ٣٨٥ هـ وحملت جنازته إلى أصفهان وقبره في أصفهان مزار معروف .

الفصل السابع

الحساب

* من جملة المواقف المهولة موقف الحساب . .

قال الله تعالى في سورة الأنبياء :

﴿ اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ﴾ .

وقال الله تعالى في سورة الطلاق :

﴿ وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حساباً شديداً وعذبناها عذاباً نكراً فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسراً أعد الله لهم عذاباً شديداً فاتقوا الله يا أولي الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكراً ﴾ .

إلى غير ذلك . . ومن المناسب هنا أن نتبرك بذكر عدة أخبار :

* الأول : روى الشيخ الصدوق رحمه الله من طرق أهل البيت عليهم السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :

لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع :

عن عمره فيما أفناه وشبابه فيما أبلاه وعن ماله من أين كسبه وفيما أنفقه وعن حبنا أهل البيت[1] .

---

(١) البحار : ٧ / ٢٥٨ .

* **الثاني** : روى الشيخ الطوسي رحمه الله عن الإمام الباقر عليه السلام : أول ما يحاسب به العبد الصلاة فإن قبلت قبل ما سواها [1] .

* **الثالث** : روى الشيخ الصدوق (عن أحد الصادقين عليهما السلام) : يؤتى يوم القيامة بصاحب الدَّين يشكو الوحشة فإن كانت له حسنات أخذ منه لصاحب الدَّين وإن لم تكن له حسنات ألقي عليه من سيئات صاحب الدَّين [2] .

* **الرابع** : روى الشيخ الكليني عن الإمام السجاد عليه السلام : « . . . اعلموا عباد الله أن أهل الشرك لا تنصب لهم الموازين ولا تنشر لهم الدواوين وإنما يحشرون إلى جهنم زمراً وإنما نصب الموازين ونشر الدواوين لأهل الإسلام . . . » [3] .

* **الخامس** : روى الشيخ الصدوق عن الإمام الصادق عليه السلام : إذا كان يوم القيامة وقف عبدان مؤمنان للحساب كلاهما من أهل الجنة : فقير في الدنيا وغني في الدنيا فيقول الفقير : يا رب على ما أوقف ؟ فوعزتك إنك لتعلم أنك لم تولني ولاية فأعدل فيها أو أجور ولم ترزقني مالاً فأؤدي منه حقاً أو أمنع ولا كان رزقي يأتيني منها إلا كفافاً على ما علمت وقدرت لي . فيقول الله جلَّ جلاله صدق عبدي خلوا عنه يدخل الجنة .

ويبقى الآخر حتى يسيل منه من العرق ما لو شربه أربعون بعيراً لكفاها ثم يدخل الجنة فيقول له الفقير : ما حبسك ؟ فيقول : طول الحساب ، ما زال الشيء يجيؤني بعد الشيء يغفر لي ، ثم أسأل عن شيء آخر حتى تغمدني الله عزَّ وجلَّ منه برحمة وألحقني بالتائبين فمن أنت فيقول : أنا الفقير الذي كنت معك آنفاً ، فيقول : لقد غيَّرك النعيم بعدي [4] .

* **السادس** : روى الشيخ الطوسي عنه (الصادق) عليه السلام : إذا كان

---

(١) المصدر السابق / ٢٦٧ .
(٢) نفس المصدر / ٢٧٤ .
(٣) نفس المصدر / ٢٥٠ .
(٤) المصدر السابق / ٢٥٩ .

يوم القيامة وكلنا الله بحساب شيعتنا فما كان لله سألنا الله أن يهبه لنا فهو لهم ، وما كان لنا فهو لهم ثم قرأ أبو عبد الله عليه السلام : إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم »[1] .

* السابع : روى الشيخ الكليني عن الإمام الرضا عليه السلام : إنما يداق الله العباد في الحساب يوم القيامة على قدر ما آتاهم من العقول في الدنيا[2] .

* حكاية :

نُقل عن خط الشهيد (الأول) عليه الرحمة أن أحمد بن أبي الحواري قال :

تمنيت أن أرى أبا سليمان الداراني[3] إلى أن رأيته في النوم بعد سنة قلت له :

يا معلم ما صنع الله تعالى بك ؟

فقال : يا أحمد دخلت ذات مرة من الباب الصغير فرأيت حمل جمل من نبتة « الشِّيح » فأخذت عوداً منه لا أدري خللت به أسناني أم لا ثم رميته . . وأنا منذ سنة وإلى الآن مبتلى بحسابه .

* يقول المؤلف :

لا بعد في هذه الحكاية بل تصدقها الآية الشريفة : يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله[4] .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في إحدى خطبه :

---

(١) نفس المصدر / ٢٦٤ .
(٢) نفس المصدر / ٢٦٧ عن الإمام الباقر عليه السلام .
(٣) أبو سليمان الداراني عبد الرحمن بن أحمد بن عطية الزاهد المعروف المتوفى في داريا وهي من قرى دمشق عام ٢٣٥ وقبره هناك معروف وأحمد بن أبي الحواري من أصحابه ، كذا في معجم البلدان ـ المؤلف .
(٤) قال المفسرون : يا بني إنها إن تك خصلة في الإنسان من السوء والإساءة أو الإحسان وتكون في ميزان العقل بوزن حبة خردل يأت بها الله في موقف الحساب ويحاسب عليها (المؤلف) .

أليست النفوس عن مثقال حبة من خردلٍ مسؤولة .

وفي الرسالة التي كتبها إلى محمد بن أبي بكر :

واعلموا عباد الله أن الله عزَّ وجلّ سائلكم عن الصغير من عملكم والكبير .

وفي كتابه إلى ابن عباس قال عليه السلام : أما تخاف من نقاش الحساب .

* وأصل المناقشة من نقش الشوكة أي معالجتها لإخراجها . . فكما يبذل منتهى الدقة والتأمل للعثور على الشوكة وإخراجها من البدن فكذلك تبذل الدقة التامة في الحساب واعلم أن بعض المحققين قال : لا ينجو من خطر الميزان والحساب إلا من حاسب في الدنيا نفسه ووزن بميزان الشرع أعماله وأقواله وخطراته ولحظاته كما ورد في الخبر : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا .

* حكاية :

نُقل أن شخصاً يدعى « توبة بن الصمة » كان يحاسب نفسه في أكثر أوقات ليله ونهاره . . وذات يوم حسب أيام عمره المنصرم فوجد أنها ٢١,٥٠٠ يوماً فقال : يا ويلتا سألاقي مالكاً (خازن النار) بـ ٢١,٥٠٠ يوماً .

قال هذا ثم أغمي عليه . . وفارق الحياة . . [١] .

* يقول الفقير :

روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نزل بأرض قرعاء لا نبت فيها « فقال لأصحابه : ائتوا بحطب فقالوا : يا رسول الله نحن بأرض قرعاء ما بها من حطب قال : فليأت كل إنسان بما قدر عليه ، فجاؤوا به حتى رموا بين يديه بعضه

---

(١) وقد رويت هذه الحكاية باختلاف يسير فقد ذكر أن المدة ٢١,٦٠٠ وأنه قال يا ويلي ألقى ربي بـ ٢١,٦٠٠ ذنباً هذا إذا كان لي في كل يوم ذنباً واحداً فكيف بي ولي عشرات الذنوب ثم أغمي عليه فحركوه فإذا هو ميت وسمع هاتف يقول : يا لها وثبةً إلى الفردوس الأعلى .

على بعض ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : هكذا تجتمع الذنوب [1] .

ويتضح من ذلك أن هدف الرسول صلى الله عليه وآله من الأمر بجمع الحطب أن يلتفت أصحابه إلى أنه كما اجتمع الحطب في تلك الصحراء الخالية من النبات . . وكانوا لا يتصورون اجتماع هذا المقدار الكثير الذي تراكم عندما تصدوا لجمعه فكذلك تجتمع الذنوب عندما تحسب وحيث لا يتصور اجتماعها . . على غرار ما اتفق لتوبة بن الصمة عندما افترض لكل يوم ذنباً واحداً .

---

(١) أصول الكافي ـ باب استصغار الذنب ٢ / ٢٨٨ .

الفَصْلُ الثَّامِن

صحائف الأعمال

* أحد مواقف القيامة المهولة الموقف الذي تعطى فيه صحائف الأعمال ، كما قال الحق تعالى في أوصاف القيامة : **وإذا الصحف نشرت** .

قال علي بن إبراهيم (القمي) : المراد صحائف أعمال الناس فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً وينقلب إلى أهله مسروراً . . وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبوراً ويصلى سعيراً .

* روى العياشي عن الإمام الصادق عليه السلام :

إذا كان يوم القيامة دفع إلى الإنسان كتابه ثم قيل له : إقرأ . . قلت : فيعرف ما فيه ؟ فقال : إن الله يذكّره فما من لحظة ولا كلمة ولا نقل قدم ولا شيء فعله إلا ذكره كأنه فعله تلك الساعة فلذلك قالوا : يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها[1] .

* وقال العلامة المجلسي رحمه الله في « التحفة » نُقل بسندين معتبرين عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال :

من زارني على بعد داري أتيته يوم القيامة في ثلاث مواطن حتى أخلصه من

---

(١) البحار : ٧ / ٣١٥ .

أهوالها : إذا تطايرت الكتب يميناً وشمالاً وعند الصراط وعند الميزان [1] .

* وقال في « حق اليقين » روى الحسين بن سعيد في كتاب الزهد عن الإمام الصادق عليه السلام :

« إن الله تبارك وتعالى إذا أراد أن يحاسب المؤمن أعطاه كتابه بيمينه وحاسبه فيما بينه وبينه فيقول : عبدي فعلت كذا وكذا وعملت كذا وكذا فيقول : نعم يا رب قد فعلت ذلك ، فيقول : قد غفرتها لك وأبدلتها حسنات ، فيقول الناس : سبحان الله أما كان لهذا العبد سيئة واحدة ؟! وهو قول الله عزَّ وجلّ : ﴿ **فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيرا وينقلب إلى أهله مسرورا** ﴾ ، قلت : أي أهل ؟ قال : أهله في الدنيا هم أهله في الجنة إن كانوا مؤمنين ، قال : وإذا أراد بعبد شراً حاسبه على رؤوس الناس وبكّته وأعطاه كتابه بشماله وهو قول الله عزَّ وجلّ : ﴿ **وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا إنه كان في أهله مسرورا** ﴾ قلت : أي أهل ؟ قال : أهله في الدنيا قلت : قوله : إنه ظن أن لن يحور ؟ قال : ظن أنه لن يرجع [2] .

وهذا إشارة إلى أن أيدي الكافرين والمنافقين تُغل إلى أعناقهم ويعطون صحائفهم من وراء ظهورهم بشمائلهم[3] وقد أشير إلى هاتين الحالتين في أدعية الوضوء حين غسل اليدين « اللّهم اعطني كتابي بيميني والخلد في الجنان (أي كتاب الخلود فيها) بيساري وحاسبني حساباً يسيراً » اللّهم لا تعطني كتابي بيساري ولا تجعلها مغلولة إلى عنقي وأعوذ بك ربي من مقطعات النيران[4] انتهى .

* يقول المؤلف :

رأيت من المناسب هنا أن أتبرك بذكر رواية أوردها السيد ابن طاووس رضي الله عنه وهي : كان علي بن الحسين عليهما السلام إذا دخل شهر رمضان لا

---

(١) الخصال ـ ١٦٨ وعيون أخبار الرضا باب ٦٦ ج ٢ / ٢٥٨ .
(٢) البحار : ٧ ـ ٣٢٤ ـ ٣٢٥ .
(٣) حق اليقين / ٣٢٨ ـ ٣٢٩ .
(٤) حق اليقين (فارسي) ٣٢٩ ودعاء الوضوء عن « من لا يحضره الفقيه » ١ / ٤٢ .

يضرب عبداً ولا أمة وكان إذا آذنب العبد أو الأمة يكتب عنده أذنب فلان وأذنبت فلانة يوم كذا وكذا ولم يعاقبه فيجتمع عليهم الأدب (القصاص) حتى إذا كان آخر ليلة من شهر رمضان دعاهم وجمعهم حوله ثم أظهر الكتاب (الذي كتب فيه مخالفاتهم) ثم قال : يا فلان فعلت كذا وكذا ولم أؤدبك أتذكر ذلك فيقول : بلى يابن رسول الله حتى يأتي على آخرهم ويقررهم جميعاً ثم يقوم وسطهم ويقول لهم : إرفعوا أصواتكم وقولوا : يا علي بن الحسين إن ربك قد أحصى عليك كل ما عملت كما أحصيت علينا كل ما عملنا ولديه كتاب ينطق بالحق لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وتجد كل ما عملت لديه حاضراً كما وجدنا كل ما عملنا لديك حاضراً فاعف واصفح كما ترجو من المليك أن يعفو عنك فاعف عنا تجده عفواً ، وبك رحيماً ، ولك غفوراً ، ولا يظلم ربك أحداً (. . .) فاذكر يا علي بن الحسين ذل مقامك بين يدي ربك الحكم العدل الذي لا يظلم مثقال حبة من خردل (. . .) فاعف واصفح يعف عنك المليك ويصفح فإنه يقول : وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم (. . .) ينادي بذلك على نفسه ويلقنهم وهم ينادون معه وهو واقف بينهم يبكي وينوح ويقول : ربنا أمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا فقد ظلمنا أنفسنا فنحن عفونا عمن ظلمنا كما أمرت فاعف عنا فإنك أولى بذلك منا ومن المأمورين وأمرتنا أن لا نرد سائلاً عن أبوابنا وقد أتيناك سُؤالاً ومساكين وقد أنخنا بفنائك وببابك ونطلب نائلك ومعروفك وعطاءك فامنن بذلك علينا ولا تخيبنا فإنك أولى بذلك منا ومن المأمورين إلهي كرَّمتُ فأكرمني إذ كنت من سؤالك وجُدتُ بالمعروف فاخلطني بأهل نوالك يا كريم .

ثم يقبل عليهم ويقول : قد عفوت عنكم فهل عفوتم عني ومما كان مني إليكم من سوء ملك فإني مليك سوء لئيم ظالم ، مملوك مليكٍ كريم جواد عادل محسن متفضل فيقولون : قد عفونا عنك يا سيدنا وما أسأت فيقول لهم : قولوا : اللّهم اعف عن علي بن الحسين كما عفا عنا فأعتقه من النار كما أعتق رقابنا من الرق فيقولون ذلك فيقول : اللّهم آمين رب العالمين إذهبوا فقد عفوت عنكم وأعتقت رقابكم رجاءً للعفو عني وعتق رقبتي فيعتقهم فإذا كان يوم الفطر أجازهم

بجوائز تصونهم وتغنيهم عما في أيدي الناس وما من سنة إلا وكان يعتق فيها في آخر ليلة من شهر رمضان ما بين العشرين نفساً إلى أقل أو أكثر . .

وكان يقول : إن الله تعالى في كل ليلة من شهر رمضان سبعين ألف عتيق من النار كلاً قد استوجب النار فإذا كان آخر ليلة من شهر رمضان أعتق فيها مثل ما أعتق في جميعه .

(وكان يقول) : وإني لأحب أن يراني الله وقد أعتقت رقاباً في ملكي في دار الدنيا رجاء أن يعتق رقبتي من النار[1] .

(١) المراقبات : ١٥٨ ـ ١٦٠ عن الإقبال للسيد بن طاووس رحمه الله .

الفَصْلُ التَّاسِع

الصِّراط

※ أحد منازل الاخرة المهولة ، الصراط ، وهو جسر ينصب على جهنم ولا يدخل أحد الجنة ما لم يمر عليه وقد جاء في الرواية أنه أدق من الشعرة وأحد من السيف وأحمى من النار . . ويمر عليه المؤمنون الخالصون بمنتهى السهولة كالبرق الخاطف . . والبعض يمرون عليه بصعوبة لكنهم ينجون . . والبعض يسقطون من عقباته في جهنم . . وهو في الاخرة تجسيد للصراط المستقيم في الدنيا الذي هو الدين الحق وطريق الولاية واتباع حضرة أمير المؤمنين والأئمة الطاهرين من ذريته صلى الله عليه واله وسلم . .

وكل من عدل عن هذا الطريق ومال إلى الباطل بقول أو فعل فسيزل من تلك العقبة ويسقط في جهنم . . والصراط المستقيم في سورة الحمد إشارة إلى الفريقين .

※ نقل العلامة المجلسي رحمه الله في حق اليقين عن « عقائد الشيخ الصدوق » رحمه الله :

اعتقادنا في العقبات التي على طريق المحشر أن كل عقبة منها اسم فرض «أمر ونهي» ، فمتى انتهى الإنسان إلى عقبة اسمها فرض وكان قد قصر في ذلك الفرض حبس عندها وطولب بحق الله فيها فإن خرج منه بعمل صالح قدمه أو برحمة تداركه نجا منها إلى عقبة أخرى ، فلا يزال يدفع من عقبه إلى عقبة فيسأل

عما قصر فيه (الفرض) من معنى اسمها فإن سلم من جميعها انتهى إلى دار البقاء فيحيا حياة لا موت فيها أبداً وسعد سعادة لا شقاوة معها أبداً ، وسكن في جوار الله مع أنبيائه وحججه والصديقين والشهداء والصالحين من عباده ، وإن حبس على عقبة فطولب بحق قصر فيه فلم ينجه عمل صالح قدمه ولا أدركته من الله عزّ وجلّ رحمة زلت به قدمه عن العقبة فهوى في جهنم نعوذ بالله منها .

« وهذه العقبات كلها على الصراط واسم عقبة منها الولاية يوقف جميع الخلائق عندها فيسألون عن ولاية أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام من بعده فمن أتى بها نجا وجاوز ومن لم يأت بها بقي فهوى ، وذلك قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وقفوهم إنهم مسؤولون ﴾ » .

« وأهم عقبة منها المرصاد وهو قول الله عزّ وجلّ : ﴿ إن ربك لبالمرصاد ﴾ ويقول الله عزّ وجلّ :

﴿وعزتي وجلالي لا يجوزني ظلم ظالم﴾ واسم عقبة منها الأمانة واسم عقبة منها الرحم واسم عقبة منها الصلاة وباسم كل فرض أو أمر أو نهي عقبة يجلس عندها العبد فيُسأل[1] .

* وروي عن الإمام الباقر عليه السلام : لما نزلت هذه الآية ﴿ وجيء يومئذٍ بجهنم ﴾ سئل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال :

أخبرني الروح الأمين أن الله لا إله غيره إذا برز الخلائق وجميع الأولين والآخرين أتى بجهنم تقاد بألف زمام يقودها مائة ألف ملك من الغلاظ الشداد ، لها هدة وغضب وزفير وشهيق ، وإنها لتزفر الزفرة فلولا أن الله عزّ وجلّ أخرهم للحساب لأهلكت الجميع ثم يخرج منها عنق (لسان عظيم من نار) فيحيط بالخلائق البر منهم والفاجر فما خلق الله عزّ وجلّ عبداً من عباده ملكاً ولا نبياً إلا ينادي ربي نفسي نفسي وأنت يا نبي الله تنادي أمتي أمتي ، ثم يوضع عليها الصراط

---

(١) حق اليقين ـ شبر ٢ / ٢١٥ .

أدق من الشعرة وأحد من السيف عليها ثلاث قناطر ، فأما واحدة فعليها الأمانة والرحم وثانيها فعليها الصلاة وأما الثالثة فعليها عدل رب العالمين جلّ وعز وهو قوله تعالى : إن ربك لبالمرصاد ، والناس على الصراط فمتعلق بيد وتزل قدم ويستمسك بقدم والملائكة حولها ينادون : يا حليم اغفر واصفح وعد بفضلك وسلّم سلّم ، والناس يتهافتون في النار كالفراش فإذا نجا ناج برحمة الله عزّ وجلّ مر بها فقال الحمد لله وبنعمته تتم الصالحات وتزكو الحسنات والحمد لله الذي نجاني منك بعد إياس بمنه وفضله إن ربنا لغفور شكور[1] .

* روى الثقة الجليل الحسين بن سعيد الأهوازي عن الإمام الباقر عليه السلام :

أتى أبا ذر رجل فبشره بغنم له قد ولدت فقال : يا أبا ذر قد ولدت غنمك وكثرت فقال : ما يسرني كثرتها فما أحب ذلك فما قل وكفى أحب إلي مما كثر وألهى إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : على حافتي الصراط يوم القيامة الرحم والأمانة فإذا مر عليه الوصول للرحم المؤدي للأمانة لم يتكفأ به في النار وفي رواية أخرى إضافة قوله : وإذا مر الخائن للأمانة القطوع للرحم لم ينفعه معهما عمل وتكفأ به الصراط في النار[2] .

* حكاية :

نقل السيد الأجل الأكمل المؤيد العلامة النحرير السيد بهاء الدين السيد علي بن السيد عبد الكريم النيلي النجفي وجلالة شأنه كثيرة ومناقبه لا تحصى وهو تلميذ الشيخ الشهيد وفخر المحققين ، في كتاب الأنوار المضيئة في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام وقد نقل هذه الحكاية بمناسبة عن والده الذي قال : كان في قريتنا « نيله » شخص كان متولي المسجد وذات مرة لم يخرج من منزله ، وطُلب منه أن يحضر فاعتذر بأنه لا يستطيع الحضور . . ثم تبين بأن جسده محترق بالنار ما عدا طرفي فخذيه إلى ركبتيه كما تبين أن ألمه شديد لا يقر له معه قرار وسئل عن

(١) المصدر السابق ٢ / ٢١٣ .
(٢) سفينة البحار (ذرء) ١ / ٤٨٣ .

السبب فقال :

رأيت في النوم أن القيامة قامت وأن الناس في حرج عظيم والكثيرون، يذهبون إلى جهنم وقليل إلى الجنة وقد كنت من الأشخاص الذين أرسلوا إلى الجنة . . وفي طريقي إليها وصلت إلى جسرٍ عظيم العرض والطول وقيل : هذا الصراط . . فمشينا عليه . . وكلما كنا نقطع منه مسافة أكثر كان عرضه يقل وطوله يزداد إلى أن أصبح مثل حد السيف . . نظرنا تحتنا فرأينا واديا عظيماً جداً وفيه نار سوداء تتوثب . . وفي تلك النار جمرات مثل قمم الجبال . .

وكان الناس بعضهم ينجو . . والبعض الآخر يسقط في النار وكنت أنا أميل دائماً من طرفٍ إلى الآخر كمن يريد أن يقع إلى أن أوصلت نفسي إلى آخر الصراط . . عندها لم أستطع أن أحفظ توازني وفجأة سقطت في النار ودخلت في ثنايا اللهب . . واستطعت أن أصل إلى حافة الوادي . . وعبثا حاولت أن أتمسك بشيء . . وكانت النار تشدني إلى أسفل بشدة جريانها . . وكنت أستغيث وقد طار عقلي . . فألهمت أن قلت : يا عليَّ بن أبي طالب . . ثم نظرت إلى جانب الوادي فرأيت رجلاً واقفاً . . فوقع في قلبي أنه علي بن أبي طالب عليه السلام فقلت : يا سيدي يا أمير المؤمنين فقال : ناولني يدك . . فمددت يدي نحوه فتناولها وسحبني ثم رماني بجانب الوادي وأبعد النار عن طرفي فخذي بيده الشريفة فاستيقظت من هول الوحشة ووجدت نفسي على ما أنا عليه الآن كما ترون ولم يسلم من بدني من النار إلاّ حيث مسح الإمام بيده . .

ثم استمر يعالج جسده بالمراهم طيلة ثلاثة أشهر إلى أن تماثل للشفاء . .

وبعد ذلك كان نادراً ما يحدث أحدا بذلك ولا تصيبه الحمى . . .

* [illegible] سهل الجواز على الصراط

* تذكر مناعدة أعمال وهي من الأعمال التي تسهل اجتياز هذه العقبة غير صلة الرحم والأمانة اللتين تقدم ذكرهما . . روى السيد بن طاووس في كتاب « الإقبال » في أعمال الليلة الأولى من شهر رجب :

أن يصلي بعد صلاة المغرب عشرين ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد مرة ويسلم بين كل ركعتين ليحفظ في أهله وماله وولده ويجار من عذاب القبر ويجوز على الصراط كالبرق الخاطف من غير حساب[1] .

* الثاني : روي أن من صام ستة أيام من رجب (. . .) وبعث من الامنين يوم القيامة حتى يمر على الصراط بغير حساب[2] .

* الثالث : روى السيد (ابن طاووس) أيضاً أن من صلى ليلة التاسع والعشرين من شعبان عشر ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وألهاكم التكاثر عشر مرات والمعوذتين عشر مرات وقل هو الله أحد أحد عشر مرة أعطاه الله ثواب المجتهدين (المجاهدين) وثقل ميزانه وخفف حسابه ويمر على الصراط [illegible][3] .

---

(١) مفاتيح الجنان ـ ١٤٩ .
(٢) ثواب الأعمال / ٧٩ .
(٣) [illegible] مصباح الجنات عن الإقبال .

* الرابع : تقدم في الفصل السابق أن من زار الإمام الرضا عليه السلام على بعد داره أتاه الإمام عليه السلام في ثلاثة مواطن يوم القيامة ليخلصه من أهوالها وأحد هذه المواطن عند الصراط .

الخاتمة:

حول عذاب جهنم

من قصص الخائفين
أمثلة مربية

* تذكر هنا عدة أخبار حول صعوبة عذاب جهنم وعدة قصص من قصص الخائفين ، وعدة أمثلة من أمثلة « بلوهر ويوزاسف » وغير ذلك مما يوجب تنبه المؤمنين .

* أما الأخبا فهي :

الأول : روي بسند صحيح عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال :

قلت له يابن رسول الله ، خوفني فإن قلبي قد قسى ، فقال : يا أبا محمد استعد للحياة الطويلة فإن جبرئيل جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو قاطب (مقطب) وقد كان قبل ذلك يجيء وهو متبسم فقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم : يا جبرئيل جئتني اليوم قاطباً فقال : يا محمد قد وُضعت منافخ النار فقال : وما منافخ النار يا جبرئيل ؟

فقال : يا محمد إن الله عزّ وجلّ أمر بالنار فنفخ عليهاألف عام حتى ابيضت ثم نفخ عليها ألف عام حتى احمرت ثم نفخ عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة ، لو أن قطرة من الضريع (الذي هو عرق أهل جهنم من قيح وصديد فروج الزناة يغلى في قدور جهنم ويسقى لأهل جهنم بدل الماء) قطرت في

شراب أهل الدنيا لمات أهلها من نتنها ، ولو أن حلقة واحدة من السلسلة التي طولها سبعون ذراعاً وضعت على الدنيا لذابت الدنيا من حرها ولو أن سربالاً من سرابيل أهل النار عُلِّق بين السماء والأرض لمات أهل الدنيا من ريحه . . قال : فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبكى جبرئيل فبعث الله إليهما ملكاً فقال لهما : إن ربكما يقرؤكما السلام ويقول : قد أمنتكما أن تذنبا ذنباً أعذبكما عليه ، فقال أبو عبد الله عليه السلام :

فما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جبرئيل متبسماً بعد ذلك ، ثم قال : إن أهل النار يعظمون النار وإن أهل الجنة يعظمون الجنة والنعيم ، وإن جهنم إذا دخلوها هووا فيها مسيرة سبعين عاماً فإذا بلغوا أعلاها قمعوا بمقامع الحديد وأعيدوا في دركها فهذه حالهم وهو قول الله عزَّ وجلّ : ﴿**كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق**﴾ ، ثم تبدل جلودهم غير الجلود التي كانت عليهم . .

قال أبو عبد الله عليه السلام : حسبُك ؟

قلت : حسبي ، حسبي ،[1]

* **الثاني** : في خبر عن الإمام الصادق عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « . . . . دخلت (ليلة المعراج) سماء الدنيا فما لقيني ملك إلا وهو ضاحك مستبشر حتى لقيني ملك من الملائكة لم أر أعظم خلقاً منه ، كريه المنظر ، ظاهر الغضب فقال لي مثل ما قالوا من الدعاء إلا أنه لم يضحك ولم أر فيه من الإستبشار ما رأيت بمن ضحك من الملائكة ، فقلت : من هذا يا جبرئيل ؟ فإني قد فزعت منه ، فقال : يجوز أن تفزع منه فكلنا يفزع منه ، إن هذا مالك خازن النار لم يضحك قط ولم يزل منذ ولاه الله جهنم يزداد كل يوم غضباً وغيظاً على أعداء الله وأهل معصيته [illegible]ـم الله به منهم ، ولو ضحك إلى أحد كان قبلك أو كان ضاحكاً إلى أحد بعدك لضحك إليك ولكنه لا يضحك ، فسلمت عليه فرد

(١) بحار الأنوار ٨ / ٢٨٠ ما بين القوسين بعد كلمة الضريع للمؤلف عليه الرحمة والرضوان .

السلام عليَّ وبشرني بالجنة ، فقلت لجبرئيل ـ وجبرئيل بالمكان الذي وصفه الله : مُطاع ثم أمين ـ ألا تأمره أن يريني النار ؟ فقال له جبرئيل : يا مالك أر محمداً النار ، فكشف عنها غطاءها وفتح باباً منها فخرج منها لهب ساطع في السماء وفارت وارتفعت حتى ظننت ليتناولني مما رأيت فقلت : يا جبرئيل ، قل له فليرد عليها غطاءها فأمرها فقال لها : ارجعي فرجعت إلى مكانها الذي خرجت منه . . . »[1] .

* **الثالث** : روي بسند معتبر عن الإمام الصادق عليه السلام : ما خلق الله خلقاً إلا جعل له في الجنة منزلاً وفي النار منزلاً فإذا سكن أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى منادٍ : يا أهل الجنة أشرفوا ، فيشرفون على أهل النار وترفع لهم منازلهم فيها ثم يقال لهم : هذه منازلكم التي في النار لو عصيتم الله لدخلتموها . . قال : فلو أن أحداً مات فرحاً لمات أهل الجنة في ذلك اليوم فرحاً لما صرف عنهم من العذاب . ثم ينادي منادٍ : يا أهل النار ارفعوا رؤوسكم فيرفعون رؤوسهم فينظرون إلى منازلهم في الجنة وما فيها من النعيم فيقال لهم : هذه منازلكم التي لو أطعتم ربكم لدخلتموها قال : فلو أن أحداً مات حزناً لمات أهل النار حزناً فيورث هؤلاء منازل هؤلاء وذلك قول الله : ﴿ **أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون** ﴾[2] .

* **الرابع** : وروي عنه عليه السلام :

ينادي منادٍ من عند الله ـ وذلك بعدما صار أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار ـ يا أهل الجنة ويا أهل النار هل تعرفون الموت في صورة من الصور ؟ فيقولون : لا ، فيؤتى بالموت في صورة كبش أملح (أبيض وأسود) فيوقف بين الجنة والنار ثم ينادون جميعاً : أشرفوا وانظروا إلى الموت فيشرفون ثم يأمر الله به فيذبح ، ثم يقال : يا أهل الجنة ، خلود فلا موت أبداً ، ويا أهل النار ، خلود فلا موت أبداً وهو قوله : ﴿ **وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة** ﴾ أي قضي

---

(١) المصدر السابق / ٢٩١ .

(٢) تفسير نور الثقلين : ٣ / ٥٣١ ـ ٥٣٢ .

على أهل الجنة بالخلود فيها وقضى على أهل النار بالخلود فيها[1] .

* **الخامس** : عن أمير المؤمنين عليه السلام :

« وأما أهل المعصية (فخلّدهم) في النار ، وأوثق منهم الأقدام وغل منهم الأيدي إلى الأعناق ، وألبس أجسادهم سرابيل القطران وقطعت لهم مقطعات من النار ، هم في عذاب قد اشتد حره ونار قد أطبق على أهلها فلا يفتح عنهم أبداً ولا يدخل عليهم ريح أبداً ولا ينقضي منهم الغم أبداً والعذاب أبداً شديد والعقاب أبداً جديد لا الدار زائلة فتفنى ولا آجال القوم تقضى »[2] .

* **السادس** : روي بسند معتبر عن الإمام الصادق عليه السلام :

إن في النار لناراً يتعوذ منها أهل النار ، ما خلقت إلا لكل متكبر جبار عنيد ولكل شيطان مريد ولكل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب ، وكل ناصب لآل محمد ، وقال : إن أهون الناس عذاباً يوم القيامة لرجل في ضحضاحٍ من نار عليه نعلان من نار وشراكان من نار يغلي منها دماغه كما يغلي المرجل ، ما يرى أن في النار أحداً أشد عذاباً منه وما في النار أحد أهون عذاباً منه[3] .

---

(١) بحار الأنوار : ٨ / ٣٤٦ .

(٢) هناك فارقان بين هذا النص والترجمة التي أوردها المؤلف رحمه الله إلا أن ما أثبته هنا مطابق ما عدا كلمة لما في تفسير القمي ٢ / ٢٨٨ ـ ٢٨٩ وعنه نقل البحار ٨ / ٢٩٢ وتفسير نور الثقلين : ٤ / ٦١٤ باختلافٍ يسير .

(٣) بحار الأنوار : ٨ / ٢٩٥ وقد ذكر المؤلف أول الحديث ما ترجمته « إن في النار لبئراً » فليلاحظ .

في قصص الخائفين

* القصة الأولى . . .

الشاب الفاسق الذي خاف الله تعالى . . .

* روى الشيخ الكليني بسند معتبر عن الإمام السجاد عليه السلام قال :

« إن رجلاً ركب البحر بأهله فكسر بهم ، فلم ينج ممن كان في السفينة إلا امرأة الرجل فإنها نجت على لوح من ألواح السفينة حتى ألجأت إلى جزيرة من جزائر البحر وكان في تلك الجزيرة رجل يقطع الطريق ولم يدع لله حرمة إلا انتهكها فلم يشعر إلا والمرأة قائمة على رأسه فرفع إليها رأسه فقال : إنسية أم جنية ؟ فقالت : إنسية ، فلم يكلمها حتى جلس منها مجلس الرجل من أهله فلما أن هم بها اضطربت فقال لها : مالك تضطربين ؟ فقالت : أفرق (أخاف) من هذا وأومأت بيدها إلى السماء قال : فصنعْتِ من هذا شيئاً ؟ قالت : لا . . وعِزَّته . .

قال : فأنت تفرقين منه هذا الفَرَق ولم تصنعي من هذا شيئاً وإنما أستكرهك استكراهاً فأنا والله أولى بهذا الفرق والخوف وأحق منك . .

قال : فقام ولم يحْدث شيئاً ورجع إلى أهله وليست له همة إلا التوبة والمراجعة ، فبينا هو يمشي إذ صادفه راهب يمشي في الطريق فحميت عليهما الشمس فقال الراهب للشاب : ادع الله يظلنا بغمامة فقد حميت علينا الشمس فقال الشاب : ما أعلم أن لي عند ربي حسنة فأتجاسر على أن أسأله شيئاً . .

قال : فأدعو أنا وتؤمِّن أنت ؟

قال : نعم . .

فأقبل الراهب يدعو والشاب يؤمِّن . . فما كان بأسرع من أن أظلّتهما غمامة فمشيا تحتها ملياً من النهار ثم تفرقت الجادة جادَّتين (اختلفت طريقهما) فأخذ الشاب في واحدة وأخذ الراهب في واحدة فإذا السحابة مع الشاب . .

فقال الراهب : أنت خير مني لك استجيب ولم يستجب لي فأخبرني ما قصتك ؟

فأخبره بخبر المرأة فقال : غُفر لك ما مضى . . حيث دخلك الخوف فانظر كيف تكون في ما تستقبل[1] .

---

(١) أصول الكافي : ٢ / الخوف والرجاء حديث ٨ بتصرف يسير .

* القصة الثانية . . .

* بهلول النباش . . .

* روى الشيخ الصدوق (عليه الرحمة) :

« دخل معاذ بن جبل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باكياً فسلم فرد عليه السلام ثم قال : ما يبكيك يا معاذ فقال : يا رسول الله إن بالباب شاباً طري الجسد ، نقي اللون ، حسن الصورة يبكي على شبابه بكاء الثكلى على ولدها يريد الدخول عليك فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أدخل علي الشاب يا معاذ فأدخله عليه فسلم فرد عليه السلام ثم قال : ما يبكيك يا شاب ؟

قال : كيف لا أبكي وقد ركبت ذنوباً إن أخذني الله عزَّ وجلّ ببعضها أدخلني نار جهنم ولا أراني إلا سيأخذني بها ولا يغفر لي أبداً فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

هل أشركت بالله شيئاً ؟

قال : أعوذ بالله أن أشرك بربي شيئاً . .

قال : أقتلت النفس التي حرم الله ؟

قال : لا . .

فقال النبي صلى الله عليه واله وسلم : يغفر الله لك ذنوبك وإن كانت مثل الجبال الرواسي . .

فقال الشاب : فإنها أعظم من الجبال الرواسي . .

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : يغفر الله لك ذنوبك وإن كانت مثل الأرضين السبع وبحارها ورمالها وأشجارها وما فيها من الخلق . .

قال : فإنها أعظم من الأرضين السبع وبحارها ورمالها وأشجارها وما فيها من الخلق . .

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : يغفر الله لك ذنوبك وإن كانت مثل السماوات ونجومها ومثل العرش والكرسي . .

قال : فإنها أعظم من ذلك . .

قال : فنظر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إليه كهيئة الغضبان ثم قال : ويحك . . يا شاب ذنوبك أعظم أم ربك ؟ فخر الشاب لوجهه وهو يقول :

سبحان ربي ما شيء أعظم من ربي . . ربي أعظم يا نبي الله من كل عظيم . .

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : فهل يغفر الذنب العظيم إلا الرب العظيم . .

قال الشاب : لا والله يا رسول الله . .

ثم سكت الشاب فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ويحك يا شاب ألا تخبرني بذنب واحدٍ من ذنوبك قال : بلى أخبرك : إني كنت أنبش القبور سبع سنين ، أخرج الأموات وأنزع الأكفان ، فماتت جارية من بعض بنات الأنصار ، فلما حملت إلى قبرها ودفنت وانصرف عنها أهلها وجن عليهم الليل أتيت قبرها فنبشتها ثم استخرجتها ، ونزعت ما كان عليها من أكفانها وتركتها متجردة على شفير قبرها ومضيت منصرفاً . .

فأتاني الشيطان فأقبل يزينها لي ويقول : أما ترى بطنها وبياضها ، أما ترى وركيها ؟ فلم يزل يقول لي هذا حتى رجعت إليها ولم أملك نفسي حتى جامعتها وتركتها مكانها . . فإذا أنا بصوت من ورائي يقول :

يا شاب ويل لك من ديان يوم الدين يوم يقفني وإياك كما تركتني عريانة في عساكر الموتى ونزعتني من حفرتي وسلبتني أكفاني وتركتني أقوم جنبة إلى حسابي ، فويل لشبابك من النار ، فما أظن أني أشم ريح الجنة أبداً فما ترى لي يا رسول الله ؟

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : تنحَّ عني يـ فاسق إني أخاف أن أحترق بنارك ، فما أقربك من النار . .

ثم لم يزل يقول ويشير إليه حتى أمعن من بين يديه فذهب فأتى المدينة فتزود منها ثم أتى بعض جبالها فتعبد فيها ولبس مِسْحاً (ثوب من الشَّعر) وغلَّ يديه جميعاً إلى عنقه ونادى :

يا رب هذا عبدك بهلول ، بين يديك مغلول . . يا رب . . أنت الذي تعرفني وزلَّ مني ما تعلم سيدي . . يا رب أصبحت من النادمين وأتيت نبيك تائباً فطردني وزادني خوفاً فأسألك باسمك وجلالك وعظمة سلطانك أن لا تخيِّب رجائي . . سيدي ولا تبطل دعائي ولا تقنطني من رحمتك فلم يزل يقول ذلك أربعين يوماً وليلة تبكي له السباع والوحوش فلما تمت له أربعون يوماً وليلة رفع يديه إلى السماء وقال : اللّهم ما فعلت في حاجتي ؟ إن كنت استجبت دعائي وغفرت خطيئتي فأوح إلى نبيك . . وإن لم تستجب دعائي ولم تغفر لي خطيئتي فعجِّل بنار تحرقني ، أو عقوبة في الدنيا تهلكني ، وخلصني من فضيحة يوم القيامة . .

فأنزل الله تبارك وتعالى على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم : ﴿ **والذين إذا فعلوا فاحشة** ﴾ يعني الزنا ﴿ **أو ظلموا أنفسهم** ﴾ يعني بارتكاب ذنب أعظم من الزنا ونبش القبور وأخذ الأكفان ﴿ **ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم** ﴾ يقول : خافوا الله فعجلوا التوبة ، ﴿ **ومن يغفر الذنوب إلا الله** ﴾ يقول عزَّ وجلّ : أتاك عبدي يا محمد تائباً فطردته فأين يذهب وإلى من يقصد ؟ ومن يسأل أن يغفر له ذنباً غيري ، ثم قال عزَّ وجلَّ ﴿ **ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون** ﴾ يقول : لم يقيموا على الزنا

ونبش القبور وأخذ الأكفان ﴿ أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين ﴾ .

فلما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج وهو يتلوها ويتبسم فقال لأصحابه :

من يدلني على ذلك الشاب التائب ؟

فقال معاذ : يا رسول الله بلغنا أنه في موضع كذا وكذا ، فمضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأصحابه حتى انتهوا إلى ذلك الجبل فصعدوا إليه يطلبون الشاب فإذا هم بالشاب قائم بين صخرتين ، مغلولة يداه إلى عنقه ، قد اسود وجهه وتساقطت أشفار عينيه من البكاء وهو يقول : سيدي : قد أحسنت خلقي وأحسنت صورتي فليت شعري ماذا تريد بي ؟ أفي النار تحرقني ؟ أو في جوارك تسكنني ؟ اللّهم إنك قد أكثرت الإحسان إلي وأنعمت علي فليت شعري ماذ يكون آخر أمري ؟ إلى الجنة تزفني ؟ أم إلى النار تسوقني ؟

اللّهم إن خطيئتي أعظم من السماوات والأرض ومن كرسيك الواسع وعرشك العظيم . . فليت شعري تغفر خطيئتي أم تفضحني بها يوم القيامة ؟

فلم يزل يقول نحو هذا ويبكي ويحثو التراب على رأسه وقد أحاطت به السباع وصفت فوقه الطير وهم يبكون لبكائه . فدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأطلق يديه من عنقه ونفض التراب عن رأسه وقال :

يا بهلول . . أبشر فإنك عتيق الله من النار ثم قال عليه السلام لأصحابه :

هكذا تداركوا الذنوب كما تداركها بهلول ، ثم تلا عليه ما أنزل الله عزّ وجلّ فيه وبشره بالجنة[1] .

* * *

---

(١) بحار الأنوار : ٦ / ٢٣ - ٢٦ .

* يقول المؤلف :

ذكر العلامة المجلسي رحمه الله في « عين الحياة »[1] في ذيل هذا الخبر كلاما هذا ملخصه :

يجب العلم أن للتوبة شرائط وبواعث . .

الباعث الأول للتوبة الذي يبعث الإنسان على التوبة هو أن يفكر في عظمة الله الذي عصاه وفي عظمة الذنوب التي ارتكبها وفي عقوبات الذنوب ونتائجها السيئة في الدنيا والآخرة التي وردت في الآيات والأخبار . . إن هذا التفكير يبعث فيه الندامة . . وهذه الندامة تبعثه إلى ثلاثة أشياء التي تشكل بمجموعها « التوبة » :

الأول : مرتبط بوضعه الحالي . . وهو أن يترك الآن تلك الذنوب التي ارتكبها .

الثاني : مرتبط بالمستقبل وهو أن يعزم جازماً أن لا يعود مستقبلاً إلى هذه الذنوب إلى آخر عمره . .

الثالث : مرتبط بالماضي . . وهو أن يندم على الماضي ويتدارك ما فات إذا كان مما ينبغي تداركه .

واعلم أن الذنوب التي تقع التوبة منها على عدة أقسام :

الأول : الذنب الذي لا يكون مستتبعاً لحكم آخر غير العقوبة في الآخرة كلبس الحرير والخاتم الذهبي للرجل . . الذي تكفي في التوبة منه هذه الندامة والعزم على عدم العود إليه وذلك يكفي أيضاً في رفع العقوبة الأخروية .

الثاني : أن يكون مستلزماً لحكم آخر وهو على عدة أقسام : إما أن يكون حق الله . . أو حق الخلق . . (الناس) إذا كان حق الله تعالى فهو إما حق مالي

---

(١) فارسي / ١٤٤ .

كأن يكون ارتكب ذنباً يوجب عليه عتق رقبة . . فإذا كان قادراً على ذلك فما دام لم يقم به فإن العقاب لا يرتفع عنه بمحض الندامة ويجب عليه أن يؤدي تلك الكفارة (عتق الرقبة) وإما حق غير مالي كأن يفوته صوم أو صلاة . . فيجب عليه قضاء ذلك . .

وإذا كان قد فعل فعلاً قرر الله عليه حداً كأن يكون شرب خمراً فإذا كان لم يثبت عند الحاكم الشرعي (شرب الخمر) فهو مخير يستطيع أن يتوب بينه وبين الله ولا يظهر ذنبه ويستطيع أن يقربه عند الحاكم فيقيم عليه الحد . . وعدم الإظهار أفضل . .

وإذا كان حق الناس فإذا كان حقاً مالياً فيجب أن يوصله إلى صاحبه أو إلى وارثه . .

وإذا كان حقاً غير مالي فإذا كان أضل شخصاً فيجب عليه أن يرشده . . وإذا كان (الحق غير المالي) حداً كأن يكون أفحش في القول لأحد فإذا كان ذلك الشخص عالماً بأنه أهانه فيجب أن يمكن من نفسه لإقامة الحد عليه وإذا كان لا يعلم فهنا خلاف بين العلماء والأكثر يعتقدون بأن إخباره (من أهين ولا علم له بذلك) سبب لإيذائه وإهانته فلا ينبغي إخباره . . وكذلك إذا كان قد اغتاب شخصاً . . انتهى .

* * *

* القصة الثالثة . . .

* يتمرغ في الرمضاء ليتذكر جهنم

نقل الشيخ الصدوق عليه الرحمة :

بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مستظل بظل شجرة في يوم شديد الحر ، إذ جاء رجل فنزع ثيابه ثم جعل يتمرغ في الرمضاء يكوي ظهره مرة ، وبطنه مرة ، وجبهته مرة ، ويقول :

يا نفس ذوقي . . فما عند الله عزَّ وجلّ أعظم مما صنعت بك . .

ورسول الله ينظر إلى ما يصنع .

ثم إن الرجل لبس ثيابه ثم أقبل فأومأ إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بيده ودعاه فقال له :

يا عبد الله لقد رأيتك صنعت شيئاً ما رأيت أحداً من الناس صنعه ، فما حملك على ما صنعت ؟

فقال الرجل : حملني على ذلك مخافة الله عزَّ وجلّ وقلت لنفسي : يا نفس ذوقي فما عند الله أعظم مما صنعت بك فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

لقد خفت ربك حق مخافته . . فإن ربك ليباهي بك أهل السماء . .

ثم قال لأصحابه : يا معاشر من حضر ، أدنوا من صاحبكم حتى يدعو

لكم ، فدنوا منه فدعا لهم وقال لهم :

اللّهم اجمع أمرنا على الهدى واجعل التقوى زادنا والجنة مآبنا . .[1]

---

(١) بحار الأنوار : ٧٠ / ٣٧٨ .

* القصة الرابعة . . .

* الزانية والعابد . . .

* روي عن الإمام الباقر عليه السلام :

خرجت امرأة بغي على شباب من بني إسرائيل فأفتنتهم (فـافتتنوا بجـمالها) فقال بعضهم :

لو رآها العابد فلان لافتتن بها . .

وسمعت البغي كلامهم فقالت :

والله لا أنصرف إلى منزلي حتى أفتنه . .

فمضت نحوه في الليل فدقت عليه الباب . .

قالت : أبيت عندك . .

فلم يوافق . .

قـالت : إن بعض شبـاب بني إسرائيـل راودوني عن نفسي فـإن أدخلتني نجوت . . وإلا لحقوني وفضحوني . . فلما سمع ذلك . . فتح لها الباب . .

وعنـدما دخلت رمت بثيـابها . . فلما رأى جمـالها افتتن بهـا . . فضرب يـده عليها ثم رجعت إليه نفسه وكان يوقد تحت قدر له . . فـأقبل حتى وضـع يده عـلى النار فقالت : ماذا تصنع ؟

قال : أحرقها لأنها فعلت ما فعلت . .

فخرجت حتى أتت جماعة بني إسرائيل فقالت : أدركوا فلاناً فقد وضع يده على النار . . فمضوا إليه فإذا بيده قد احترقت[1] . .

(١) بحار الأنوار : ٧٠ / ٣٨٧ .

* القصة الخامسة . . .

* مناجاة أمير المؤمنين عليه السلام . . .

* روى الشيخ الصدوق عليه الرحمة عن عروة بن الزبير أنه قال : « كنا جلوساً في مجلسٍ في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلِم فتذاكرنا أعمال أهل بدر وبيعة الرضوان ، فقال أبو الدرداء :

يا قوم ألا أخبركم بأقل القوم مالاً وأكثرهم ورعاً وأشدهم اجتهاداً في العبادة ؟

قالوا : من ؟

قال : أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .

قال « الزاوي » : فوالله إن كان في جماعة أهل المجلس إلا معرض عنه بوجهه ، ثم انتدب له رجل من الأنصار فقال له :

يا عويمر ، لقد تكلمت بكلمة ما وافقك عليها أحد منذ أتيت بها . .

فقال أبو الدرداء : يا قوم إني قائل ما رأيت ، وليقل كل قوم منكم ما رأوا ، شهدت علي بن أبي طالب بشويحطات النجار وقد اعتزل عن مواليه واختفى ممن يليه واستتر بمغيلات النخيل ، فافتقدته وبعد علي مكانه ، فقلت : لحق بمنزله . . فإذا أنا بصوت حزين ونغمة شجي وهو يقول :

« إلهي كم من موبقة حلمت عن مقابلتها بنقمتك ، وكم من جريرة تكرمت

عن كشفها بكرمك ، إلهي إن طال في عصيانك عمري وعظم في الصحف ذنبي فما أنا مؤمل غير غفرانك ولا أنا براجٍ غير رضوانك » .

فشلغني الصوت واقتفيت الأثر ، فإذا هو علي بن أبي طالب عليه السلام بعينه فاستترت له وأخملت الحركة ، فركع ركعاتٍ في جوف الليل الغابر ، ثم فرغ إلى الدعاء والبكاء والبث والشكوى فكان مما ناجى الله به :

« إلهي أفكر في عفوك فتهون علي خطيئتي ، ثم أذكر العظيم من أخذك فتعظم علي بليتي » .

ثم قال :

آهٍ إن أنا قرأت في الصحف سيئة أنا ناسيها وأنت محصيها فتقول : خذوه ، فيا له من مأخوذٍ لا تنجيه عشيرته ولا تنفعه قبيلته يرحمه الملأ إذا أذن فيه بالنداء .

ثم قال :

آهٍ من نار تنضج الأكباد والكلى ، آه من نار نزاعة للشوى آه من غمرة من لهبات لظى .

قال : ثم أنعم (انغمر) في البكاء فلم أسمع له حساً ولا حركة فقلت : غلب عليه النوم لطول السهر أوقظه لصلاة الفجر .

قال أبو الدرداء : فأتيته فإذا هو كالخشبة الملقاة فحركته فلم يتحرك ، وزويته فلم ينزو فقلت : « إنا لله وإنا إليه راجعون » مات والله علي بن أبي طالب . . قال : فأتيت منزله مبادراً أنعاه إليهم فقالت فاطمة عليها السلام : يا أبا الدرداء ما كان من شأنه ومن قصته فأخبرتها الخبر فقالت : هي والله يا أبا الدرداء الغشية التي تأخذه من خشية الله . . ثم أتوه بماء فنضحوه على وجهه فأفاق ، ونظر إلي وأنا أبكي فقال : مما بكاؤك يا أبا الدرداء ؟

فقلت : مما أراه تنزله بنفسك . .

فقال : يا أبا الدرداء فكيف ولو رأيتني ودعي بي إلى الحساب وأيقن أهل

الجرائم بالعذاب واحتوشتني ملائكة غلاظ وزبانية فظاظ ، فوقفت بين يدي الملك الجبار ، قد أسلمني الأحباء ورحمني أهل الدنيا ، لكنت أشد رحمة لي بين يدي من لا تخفى عليه خافية . .

فقال أبو الدرداء : فوالله ما رأيت ذلك لأحدٍ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[1] .

* ومن المناسب هنا ذكر هذه المناجاة متصلة ليناجي بها المتهجد في جوف الليل كما فعل شيخنا البهائي رحمه الله في كتاب مفتاح الفلاح .

إلهي كم من موبقة حلمت عن مقابلتها بنقْمتك ، وكم من جريرة تكرمت عن كشفها بكرمك ، إلهي إن طال في عصيانك عمري وعظم في الصحف ذنبي ، فلا أنا بمؤمل غير غفرانك ولا أنا براج غير رضوانك إلهي أفكر في عفوك فتهون عليّ خطيئتي ثم أذكر العظيم من أخذك فتعظم عليّ بليتي آهٍ إن أنا قرأت في الصحف سيئة أنا ناسيها وأنت محصيها فتقول : خذوه ، فيا له من مأخوذ لا تنجيه عشيرته ، ولا تنفعه قبيلته ، آهٍ من نار تنضج الأكباد والكلى آهٍ من نار نزاعة للشوى آهٍ من غمرة من لهبات لظى . .

---

(١) بحار الأنوار : ٤١ / ١١ ـ ١٢ .

* القصة السادسة . . .

* الصحابي حارثة بن مالك . . .

* روي عن الإمام الصادق عليه السلام :

إن رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم صـلى بالنـاس الصبح ، فنـظر إلى شـاب في المسجد وهـو يخفق ويهوي برأسه ، مصفـراً لونـه ، قد نحف جسمـه ، وغـارت عيناه في رأسه ، فقال لـه رسول الله صـلى الله عليـه وآلـه وسلم : كيف أصبحت يا فلان . .

قال : أصبحت يا رسول الله موقناً . . .

فعجب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قوله وقـال : إن لكل يقين حقيقة فما حقيقة يقينك ؟

فقـال : إن يقيني يـا رسـول الله هـو الـذي أحـزنني وأسهـر ليـلي وأظمـأ هواجري ، فعزفت نفسي عن الدنيا وما فيهـا ، حتى كأني أنـظر إلى عرش ربي وقـد نصب للحسـاب ، وحشر الخلائق لـذلك ، وأنـا فيهـم وكأني أنـظر إلى أهل الجنة يتنعمون في الجنة ، ويتعارفون ، وعلى الأرائك متكئون ، وكأني أنظر إلى أهل النار وهم فيها معذبون مصطرخون ، وكأني الآن أسمع زفير النار يدور في مسامعي .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه : هذا عبد نور الله قلبـه بالإيمان .

ثم قال له :

إلزم ما أنت عليه . .

فقال الشاب :

ادع الله لي يا رسول الله أن أرزق الشهادة معك . .

فدعا لـه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يلبث أن خرج في بعض غـزوات النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاستشهد بعد تسعة نفر وكان هو العاشر[1] .

---

(١) الكافي : كتاب الإيمان والكفر ، باب حقيقة الإيمان .

في أمثال تنبه المؤمنين

المثل الأول

الدنيا

* قـال بلوهر[1] : بلغنـا أن رجلاً حمـل عليه فيـل مغتلم[2] فانـطلق موليـاً هارباً ، وتبعه الفيل حتى غشيه (كاد يصل إليه) فاضطره إلى بئر فتدلى فيها وتعلق بغصنين نابتين على شفير البئر . . ووقعت قدماه على رؤوس حيات ، فلما تبين لـه الغصنان ، فإذا في أصلهما جرذان يقرضان الغصنين أحدهما أبيض والآخر أسود ، فلما نظر إلى قعر البئر إذا بتنين فاغرفاه نحوه يريد التقامه ، فلما رفع رأسه إلى أعـلا الغصنـين إذا عليهما شيء من عسـل النحل فتنـاول شيئاً من ذلـك العسل وتـذوقه فـألهتـه لذة العسـل وحلاوته عن التفكير في أمر الأفاعي التي لا يدري متى تلدغـه كما ألهتـه عن التنين الذي لا يدري متى يلتقمه . . ولا يعرف مصيره إذا وقع في فمه . . أمـا البئر فالدنيا مملوءة آفات وبلايا وشروراً ، وأما الغصنـان فالعمـر . . وأما الجـرذان فالليل والنهار يسرعان في الأجل وأما الأفاعي الأربعة فـالأخلاط الأربعـة التي هي السـموم القاتلة من المرة والبلغم والريح والدم التي لا يدري صاحبهـا متى تهيج بـه وأما التنين الفاغرفاه ليلتقمه فالموت الراصد الطالب . . وأما العسل الذي اغتر به

---

(١) بلوهر حكيم هندي له قصة طويلة مع أحـد أبناء ملوك الهنـد واسمه « يـوذاسف » والقصة تتضمن أمثالاً وحكماً ومواعظ كثيرة وهي مروية عن الإمـام العسكري عليـه السلام كـما في بحار الأنوار ج ٧٨ / ٣٨٣ / ٤٤٤ نقلاً عن كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق عليه الرحمة .

(٢) فيل في معناه « سكران » ولعل المراد سكر الشهوة .

المغرور فيا ينـال الناس من لـذة الدنيـا وشهواتهـا ونعيمها ودعتهـا من لذة المطعم والمشرب والشم واللمس والسمع والبصر .

* قال المؤلف :

لا يوجد مثل ينطبق على ممثّله أفضل من هذا المثل لغفلة الإنسـان عن الموت وما يجري بعده واشتغال الإنسان باللذات العاجلة الفانية . . فينبغي التأمـل جيداً في هذا المثل ليكون سبب اليقظة والتنبه من نوم الغفلة . .

في الخبر : أن أمير المؤمنين عليه السلام دخل سـوق البصرة فنظر إلى النـاس يبيعون ويشترون ، فبكى بكاءً شديداً ثم قال : يـا عبيد الـدنيا وعـمال أهلها ، إذا كنتم بـالنهار تحلفـون ، وبالليـل في فراشكم تنـامون وفي خـلال ذلك عن الآخـرة تغفلون فمتى تجهزون الزاد وتفكرون في المعاد[1] .

* قال المؤلف :

رأيت من المناسب أن أذكر هنا هذه الأشعار :

« يا منفقاً كل العمر في الغفلة ، ماذا لديك وماذا فعلت أين عملك . . ومـا هو ؟ » .

« ما هو زاد آخرتك في هذا الطريق الطويل وقـد جاءك الشيب بـرسالـة من الموت » .

« تستطيع أن تصبح ملاكاً علماً وعملاً ، إلا أنك لهمتك الوضيعة انسجمت مع الحيوانات المفترسة وغير المفترسة » .

« عـندما تصبح أهلاً لـرفقة حـور الجنـة تـدرك أن الجميـع من حيث تعلق قلوبهم بالماء والنبات ليسوا إلا كالأنعام » .

« إجهد أن لا تبقى محرومـاً من السعادة ، وأصلح شـأنك فلن تقيم هنـا إلا

---

(١) بحار الأنوار : ٧٧ / ٤٢٢ ـ ٤٢٣ .

يومين أو ثلاثة أيام » .

* وقال الشيخ نظامي :

« دع عنك حديث الطفولة وعبادة الذات ، فهو حديث كسل وسُكْر » .

« عندما يتجاوز العمر الثلاثين بل العشرين ، فلا ينبغي بعد ذلك العيش كالغافلين » .

« يبقى نشاط العمر حتى الأربعين . . وبانقضاء الأربعين يتساقط الريش والجناح » .

« بعد انقضاء الخمسين لا تبقى سلامة جسد ، يصبح البصر حسيراً وتضعف الرِّجل » .

« وبحلول الستين تظهر بوادر القعود (أن يصبح المرء مقعداً) وبحلول السبعين يتعطل الجهاز عن العمل » .

« وعندما تبلغ الثمانين والتسعين فما أكثر الشدائد التي تواجهها من الدنيا » .

« وإذا تجاوزت ذلك إلى المائة فهو الموت في صورة الحياة » .

« كلب الصياد الذي يصطاد الغزال ، عندما يشيب يصطاده الغزال » .

« عندما يغزو الشيب سواد الشعر فقد ظهرت علامة اليأس » .

« من كثرة القطن أصبح أصل أذنك لابساً الكفن . . وما زلت لم تخرج القطنة من أذنك » .

* وقال اخر :

« نتيجة دوران هذا الفلك الأزرق مضى من عمري ستون عاماً » .

« على رأس كل سنة من هذا العمر تجرعت غصص الملذات السالفة » .

« إني لفي عجب من أطوار الدهر . . فكلما اعطانيه قد استرده » .

« ذهبت القوة من ركبتي والساعد . . وذهب الماء من وجنتي واللون من

شعري » .

« وقد انفرط عقد ثرياي وتبدد جوهر أسناني واحدة واحدة » .

« ما بقي من كل ذلك وما لا يعتريه خلل هو حمل الذنب وطول الأمل » .

« وتصاعد جرس الرحيل مدوياً ها هم رفاق سفرك ماضون » .

« آهٍ من قلة زاد يوم المعاد فالزاد قليل والطريق طويل » .

« الحمل الثقيل على كتفي كالجبل . . بل يعجز الجبل عن تحمل حملي » .

« يا من الذنب أمام عفوك العظيم كالتبنة أمام سيل الربيع » .

« إذا لم يأخذ فضلك بيدي وإذا وكلتني عصمتك إلى نفسي » .

« فلن ينتهي طريقي إلا إلى جهنم ولن يكون مستقري إلا في سقر » .

« أنا العبد الخجول الجاهل ، أنا الغريق في لجة العصيان » .

« وأنت الخالق والمتفضل بالإحسان ، أنت الفرد محيي المسكين بالغفران » .

* قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أبناء الأربعين زرع قددنا حصاده ، أبناء الخمسين ماذا قدمتم ؟ وماذا أخرتم ؟ أبناء الستين هلموا إلى الحساب أبناء السبعين عدوا أنفسكم في الموتى . .

* في الخبر أن الديك يقول في ذكره : « أذكروا الله أيها الغافلون »[1] .

« هل تعلم لماذا ينوح ديك السحر دائماً عندما يتنفس الصبح » .

« إنه يقول إن قانون الصبح يقول لك : مضت ليلة من عمرك وأنت غافل » .

* ولنعم ما قال الشيخ الجامي :

« يا قلبُ حتى م تلهو بهذا القصر المجازي كما يلهو الأطفال بالل

---

(١) النقل بالمعنى .

بالتراب » .

« أنت طائر محلق مقدام يناسبك عشاً بعيداً عن هذه الأرض » .

« لماذا أنت غريب عن هذا العش ولماذا أصبحت كأسوأ طيور هذه الدنيا الخربة » .

« انفض جناحك والريش مما علق به من التراب وحلق بعيداً إلى ذرى أيوان الأفلاك » (. . . .) .

« سِرْ كالخليل في مُلك اليقين مردداً لحن لا أحب الآفلين » .

* المثل الثاني . . .

* الملك . . .

قال بلوهر :

د.ن اهل مدينة يأتون الرجل الغريب الجاهل بأمرهم فيملكونه عليهم سنة فلا يشك أن ملكه دائم عليهم لجهالته بهم فإذا انقضت السنة أخرجوه من مدينتهم عرياناً مجرداً سليباً . . فيقع في بلاء وشقاء لم يحدث به نفسه فصار ما مضى عليه من ملكه وبالاً وحزناً ومصيبة وأذى ويصبح مصداقاً لقول الشاعر :

« يا من أسكره شراب حب الدنيا تيقظ فإن الفلك يضعك »

« لا تغتر بعالم هو كلون الحناء لا يبقى في يدك سوى يومين أو ثلاثة »

ثم إن أهل (تلك) المدينة أخذوا رجلاً آخر فملكوه عليهم فلما رأى الرجل غربته فيهم لم يستأنس بهم وطلب رجلاً من أهل أرضه خبيراً بأمرهم حتى وجده فأفضى إليه بسر القوم وأشار عليه أن ينظر إلى الأموال التي في يديه فيخرج منها ما استطاع الأول فالأول حتى يودعه في المكان الذي يخرجونه إليه . . فإذا أخرجه القوم صار إلى الكفاية والسعة بما قدم وأودع ففعل ما قال له الرجل ولم يضيع وصيته .

قال بلوهر : وإني لأرجو أن تكون ذلك الرجل يا ابن الملك الذي لم يستأنس بالغرباء ولم يغتر بالسلطان ، وأنا الرجل الذي طلبت ولك عندي الدلالة والمعرفة

والمعونة[1] . .

* يقول المؤلف :

قال الحق تعالى في القرآن المجيد :

﴿ من عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون ﴾ .

أي أن الذين يعملون الأعمال الصالحة يهيئون بذلك ما يريحهم .

* قال الإمام الصادق عليه السلام : إن عمل المؤمن ليذهب فيمهد له في الجنة كما يرسل الرجل غلامه فيفرش له ثم تلا : **﴿ ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون ﴾** .

* وقال أمير المؤمنين عليه السلام في كلماته القصار :

يابن آدم كن وصي نفسك واعمل في مالك ما تؤثر أن يعمل فيه من بعدك »

فيا أيها العزيز :

« أرسل وسائل الراحة إلى قبرك فلن يرسلها إليك أحد بعد وفاتك » .

« كل واشرب وأنفق وقدم لنفسك فلمن تحتفظ بما لديك » .

« أنفق الذهب والنعمة الآن فإنها من بعدك ستخرج من يدك ويصبح الأمر والنهي فيها لغيرك » .

« خذ زادك معك واحمله بنفسك فلن يشفق عليك الولد ولا الزوجة » .

« احمل هم نفسك في حياتك فلن يدع الحرص قريبك أن يحمل همك » .

« أصلح شأنك بيدك فلن يحك جلدك في العالم مثل ظفرك » .

* قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : واعلموا أن كل امريء على ما قدم قادم وعلى ما خلف نادم .

---

(١) بحار الأنوار : ٧٨ / ٤٠١ والشعر المذكور مضمونه هنا ليس في الاصل .

(٢) سفينة البحار (أمن) ج ١ / ٣٦ .

* نقل عن أمالي المفيد النيشابوري وتاريخ بغداد أن أمير المؤمنين عليه السلام عندما رأى الخضر عليه السلام في النوم طلب منه أن ينصحه فأراه كفه فإذا هو مكتوب فيه بخط أخضر :

قد كنت ميتاً فصرت حياً وعن قليل تعود ميتا

فابن لدار البقاء بيتاً ودع لدار الفناء بيتا

* المثل الثالث . . .

قال بلوهر :

« وقد بلغنا أن ملكاً من الملوك كان عاقلاً قريباً من الناس ، مصلحاً لأمورهم . حسن النظر والإنصاف لهم ، وكان له وزير صدق صالح يعينه على الإصلاح ويكفيه مؤونته ويشاوره في أموره ، وكان الوزير أديباً عاقلاً له دين وورع ونزاهة وزهادة في الدنيا . . وكان قد لقي أهل الدين ، وسمع كلامهم وعرف فضلهم فأجابهم وانقطع إليهم بإخائه ووده ، وكانت له من الملك منزلة حسنة وخاصة ، وكان الملك لا يكتمه شيئاً من أمره ، وكان الوزير له أيضاً بتلك المنزلة إلا أنه لم يكن ليطلعه على أمر الدين ولا يحدثه بأسرار الحكمة . . فعاشا بذلك زمناً طويلاً . . وكان الوزير كلما دخل على الملك سجد للأصنام وعظمها تقية من الملك . .

إلا أن الوزير كان يتحين الفرصة ليفاتح الملك . . وقد استشار بعض خاصته في ذلك فحذروه قائلين : إن سطوة الملك لا تؤمن والسلطان لا يغتر به . . فقد تكون مفاتحته بذلك سبباً في القضاء على أهل دينك . .

وذات ليلة . . بعدما هدأت العيون قال الملك للوزير : هل لك أن تركب فنسير في المدينة فننظر إلى حال الناس وآثار الأمطار التي أصابتهم هذه الأيام . .

ومضيا معاً يجولان في أنحاء المدينة فمرا في بعض الطرق على مزبلة تشبه

الجبل ، فنظر الملك إلى ضوء النار تبدو في طرف المزبلة فقال للوزير : إن لهذه النار لقصة فانزل بنا نمشي حتى ' .نو منها فنعلم خبرها فلما وصلا إلى المكان الذي ينبعث منه ضوء النـار وجدا نقبـاً شبيهاً بـالغار ، وفيـه مسكين من المسـاكين فنـظرا إلى الغار من حيث لا يراهما الرجل فإذا الرجل مشوه الخلق عليه ثياب بالية مما جمعه من المزبلة وهو متكيء على متكأ قد هيأه من الزبل ، وبين يـديه إبـريق فخار فيـه شراب وفي يده طنبور يضرب بيده وامرأته مثله في الشكل واللبـاس واقفة بـين يديـه تسقيه إذا استسقى . . وترقص له إذا ضرب وتحييه بتحية الملوك كلما شرب وهو يسميها بخير النسـاء وإذا بهما يصفـان نفسيهما بـالحسن والجمال ويغمـرهما من السرور الضحـك والطرب ما لا يوصف .

وقف الملك يتأمل ذلك ملياً . . والوزير معه . . متعجبين من لذتهما بما هما فيه وإعجابهما به . . ثم انصرفا . .

قـال الملك : ما أظن أنـه قد أصـابني وإياك طيلة عمـرنا من اللذة والسرور والفرح ما أصاب هذين الليلة مع أني أظن أنهما يصنعان كل ليلة مثل هذا . .

فاغتنم الوزير الفرصة فقال :

أخاف أيها الملك أن تكون دنيانا هذه من الغرور ويكون ملكك وما نحن فيه من البهجـة والسرور في أعين من يعـرف الملكوت الـدائم مثل هـذه المزبلة ومثـل هذين الشخصين وتكون مساكننـا وما شيدنا منها عند من يرجو مسـاكن السعادة وثواب الآخرة مثـل هذا الغـار في أعيننا وتكـون أجسادنـا عند من يعـرف الطهـارة والنضارة والحسن والصحة مثل جسد هذا المشوه الخلق في أعيننا ، ويكون تعجبهم من إعجابنا بما نحن فيه كتعجبنا من إعجاب هذين الشخصين بما هما فيه . .

قال الملك : وهل تعرف لهذه الصفة أهلاً ؟

قال الوزير : نعم .

قال الملك : من هم ؟

قال الوزير : أهل الدين الذين عرفوا تلك الآخرة ونعيمها فطلبوه .

قال الملك : وما ملك الآخرة ؟

قال الوزير : هو النعيم الذي لا بؤس بعده ، والغنى الـذي لا فقر بعـده ، والفرح الذي لا ترح بعده ، والصحة التي لا سقم بعدهـا والرضـا الذي لا سخط بعده ، والأمن الذي لا خوف بعده والحياة التي لا موت بعـدها ، والملك الـذي لا زوال له التي هي دار البقاء ودار الحيـوان التي لا انقطاع لهـا ولا تغير فيهـا رفع الله عزَّ وجلّ عن ساكنيها فيها السقم والهرم والشقاء والنَّصَب والمرض والجـوع والظمـأ والموت .

قال الملك : وهل تعرفون إلى هذه الدار باباً . . وإلى دخولها سبيلاً . .

قال الوزير : نعم هي مهيأة لمن طلبها ومن أتاها من بابها ظفر بها .

قال الملك : ما منعك أن تخبرني بهذا قبل اليوم ؟

قال الوزير : منعني من ذلك إجلالك والهيبة لسلطانك .

قال الملك : لئن كان هذا الأمر الذي وصفت يقيناً فلا ينبغي لنا أن نضيعـه ولا نترك العمل به . . ولا بد أن نجتهد حتى يصحَّ لنا خبره .

قال الوزير : أفتأمرني أيها الملك أن أكرر ذكره لك .

قـال الملك : بل آمـرك أن لا تترك ذكـره عندي ليـلاً ولا نهاراً فإن هـذا أمر عجيب لا يتهاون به . .

وكانت عاقبة هذا الملك هي الإعتقاد بالدين . . والنجاة[1] .

* يقول المؤلف :

رأيت من المناسب ولزيادة بصيرة المؤمنين أن أتبرك هنا بذكر عدة فقـرات من إحدى خطب أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال :

إحذروا هذه الدنيا الخداعة الغدارة التي قد تزينت بحليها وفتنت بغـرورها وغرت بآمالها وتشـوَّفت لخطابهـا (أشرفت عليهم) فأصبحت كـالعروس المجلوة

---

(١) بحار الأنوار : ٧٨ / ٤١٠ ـ ٤١٢ بتصرف .

والعيون إليها ناظرة والنفوس بها مشغوفة والقلوب إليها تائقة وهي لأزواجها كلهم قاتلة [1] فلا الباقي بالماضي معتبر ولا الآخر بسوء أثرها على الأول مُزدجر إلى أن قال عليه السلام : ومما يدلك على دناءة الدنيا أن الله جل ثناؤه زواها عن أوليائه وأحبائه نظراً واختياراً ، وبسطها لأعدائه فتنة واختباراً فأكرم عنها محمداً نبيه صلى الله عليه وآله وسلم حين عصب على بطنه من الجوع ، وحماها موسى نجيه المكلم وكانت ترى خضرة البقل من صفاق بطنه من الهزال . .

وساق عليه السلام الكلام في زهد الأنبياء عليهم السلام وتنزههم عنها وأنهم أنزلوا الدنيا من أنفسهم كالميتة التي لا يحل لأحد أن يشبع منها إلا في حال الضرورة إليها وأكلوا منها بقدر ما أبقى لهم النفس وأمسك الروح وجعلوها بمنزلة الجيفة التي اشتد نتنها فكل من مر بها أمسك على فمه فهم يتبلغون بأدنى البلاغ ولا ينتهون إلى الشبع من النتن وينعجبون من الممتلي منها شبعاً والراضي بها نصيباً . .

إخواني : والله لهي في العاجلة والآجلة لمن ناصح نفسه في النظر وأخلص لها الفكر انتن من الجيفة وأكره من الميتة غير أن الذي نشأ في دباغ الإهاب (دباغة الجلود) لا يجد نتنه ولا تزذيه رائحته كما تؤذي المارّ به والجالس عنده [2] .

* وقال عليه السلام أيضاً :

وإياك أن تغتر بما ترى من إخلاد أهلها وتكالبهم عليها فإنهم كلاب عاوية ، وسباع ضارية يهر بعضها على بعض يأكل عزيزها ذليلها وكبيرها قليلها . .

* يقول الفقير :

أخذ الحكيم سنائي هذا المعنى ونظمه شعراً فقال :

« هذا العالم كالجيفة ، والناس حوله ألف ألف » .

---

(١) عن الإمام الصادق عليه السلام : تمثلت الدنيا لعيسى عليه السلام في صورة امرأة زرقاء فقال لها : كم تزوجت ؟ قالت : كثيراً ، قال : فكل طلقك ؟ قالت : بل كلا قتلت ، قال : فويح أزواجك الباقين كيف لا يعتبرون بالماضين . سفينة البحار : ١ / ٦٦٦ .

(٢) سفينة البحار (دنا) ١ / ٤٦٦ - ٤٦٧ .

« هذا ينشب مخلبه بالجميع وذاك يضربهم بمنقاره » .

« وفي نهاية المطاف يذهب الجميع ولا يبقى إلا هذه الجيفة » .

« يا سنائي اجتنب هذه الكلاب واختر لك زاوية تقبع فيها » .

« الحذر الحذر أن يجعلوك مثلهم فتسقط في قبضة إبليس المهلكة » .

* قال أمير المؤمنين عليه السلام :

والله لدنياكم هذه أهون في عيني من عراق خنزير في يد مجذوم .

والعراق عظم لا لحم عليه والمجذوم المبتلى بمرض الجذام ، وهذا غاية تحقير الدنيا . . لأن العظم لا قيمة له فكيف إذا كان عظم خنزير . . وكيف إذا كان عظم الخنزير هذا في يد مجذوم . . آنذاك لا يوجد شيء أحقر منه . .

* المثل الرابع . . .

* العابد والكلب . . .

هذا المثل ينفع بشكل خاص الأشخاص الذين يقضون عمراً يتقلبون في نعمة الحق تعالى ، وعندما يتعرضون لامتحان وابتلاء يسيطر عليهم كفران النعمة ويعرضون عن المنعم الحقيقي ويسرعون في اللجوء إلى غيره ويرتكبون في ذلك ما لا ينبغي وهذا المثل ذكره شيخنا البهائي في الكشكول .

* قال : روي أنه كان في جبل لبنان رجل من العباد منزوياً عن الناس في غار في ذلك الجبل ، وكان يصوم النهار ويأتيه كل ليلة رغيف يفطر على نصفه ويتسحر بالنصف الآخر ، وكان على ذلك الحال مدة طويلة لا ينزل من ذلك الجبل أصلاً . .

فاتفق أن انقطع عنه الرغيف ليلة من الليالي فاشتد جوعه وقل هجوعه ، فصلى العشاءين وبات تلك الليلة في انتظار شيء يدفع به الجوع فلم يتيسر له شيء . .

وكان في أسفل ذلك الجبل قرية سكانها نصارى ، فعندما أصبح العابد نزل إليهم واستطعم شيخاً منهم فأعطاه رغيفين من خبز الشعير ، فأخذهما وتوجه إلى الجبل . .

وكان في دار ذلك الشيخ النصراني كلب جرب مهزول فلحق العابد ونبح

عليه وتعلق بأذياله ، فألقى إليه العابد رغيفاً من ذينك الرغيفين ليشتغل به عنه ، فأكل الكلب ذلك الرغيف ، ولحق العابد مرة أخرى وأخذ في النباح والهرير ، فألقى إليه العابد الرغيف الآخر فأكله ولحقه أيضاً واشتد هريره وتشبث بأذيال العابد ومزقه ، فقال العابد : سبحان الله ، إني لم أر كلباً أقلّ حياء منك ، إن صاحبك لم يعطني إلا رغيفين ، وقد أخذتهما مني ، ماذا تطلب بهريرك وتمزيق ثيابي ؟

فأنطق الله تعالى ذلك الكلب :

لست أنا قليل الحياء ، اعلم أني ربيت في دار ذلك النصراني أحرس غنمه وأحفظ داره ، وأقنع بما يرميه إلي من عظام أو خبز وربما نسيني فأبقى أياماً لا آكل شيئاً . . بل ربما تمضي علينا أيام لا يجد هو لنفسه شيئاً ولا لي ، ومع ذلك لم أفارق داره منذ عرفت نفسي ولا توجهت إلى باب غيره ، بل كان دأبي أنه إن حصل شيء شكرت ، وإلا صبرت ، وأما أنت فبانقطاع الرغيف عنك ليلة واحدة لم يكن عندك صبر ولا كان لك تحمل حتى توجهت من باب رزاق العباد إلى باب نصراني وطويت كشحك عن الحبيب ، وصالحت عدوه المريب فأينا أقل حياء أنا أم أنت . .

فلما سمع العابد ذلك ضرب بيديه على رأسه وخر مغشياً عليه[1] .

* يقول المؤلف :

ما أجمل أن ينقل هنا كلام للشيخ سعدي حيث يقول : أجمل الكائنات بحسب الظاهر هو الإنسان ، وأذل الموجودات الكلب . . ويجمع العقلاء على أن الكلب الوفي أفضل من الإنسان غير الوفي الذي لا يشكر نعمة المنعم .

« الكلب لا ينسى لقمة أعطيتها له حتى إذا رجمته بالحجارة مائة مرة » .

« وإذا دللت سافلاً عمراً فإنه يأخذ بخناقك لأدنى سبب » .

---

(١) الكشكول : ١ / ١٢٤ ـ ١٢٥ بتصرف يسير وقد نظم الشيخ البهائي هذه القصة شعراً باللغة الفارسية أورده المؤلف في الأصل مقتصراً عليه .

* وكم هو من المناسب هنا ذكر هـذا الخبر الشريف الـذي ينير القلب ويقـر العين . .

روي أن « أبـا عبد الله (الإمـام الصادق) عليـه السلام كـان عنـده غـلام يمسك بغلته إذا هو دخل المسجـد ، فبينما هـو جالس ومعه البغلة إذ أقبلت رفقة من خراسان فقال له رجل من الرفقة :

هل لك يا غلام أن تسأله أن يجعلني مكانك وأكون له مملوكـاً ، وأجعل لـك مـالي كله ، فـإني كثـير المـال من جميـع الصنـوف إذهب فـاقبضـه وأنـا أقيم معـه مكانك . .

فقال : أسأله ذلك . .

فدخل على أبي عبد الله فقال :

جعلت فداك تعرف خدمتي وطول صحبتي فإن ساق الله إليَّ خيراً تمنعنيه ؟

قال أعطيك من عندي وأمنعك من غيري . .

فحكى له قول الرجل . . فقال :

إن زهدت في خدمتنا ورغب الرجل فينا قبلناه وأرسلناك . .

فلما ولى عنه دعاه فقال له :

أنصحك بطول الصحبـة ولك الخيـار فإن كـان يوم القيـامة كـان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متعلقاً بنـور الله وكان أمـير المؤمنين عليـه السلام متعلقـاً برسول الله وكان الأئمة متعلقين بأمـير المؤمنين وكـان شيعتنا متعلقـين بنا يـدخلون مدخلنا ويردون موردنا . .

فقال الغلام : بل أقيم في خدمتك وأؤثر الآخرة على الدنيا . .

وخرج الغلام إلى الرجل فقال له الـرجل : خـرجت إليَّ بغير الـوجه الـذي دخلت به . . فحكى له قوله وأدخله على أبي عبد الله عليه السلام فقبل ولاءه وأمر

للغلام بألف دينار[1] .

* هذا الفقير أيضاً يقول للإمام الصادق عليه السلام :

يا سيدي . . أنا مذ عرفت نفسي وجدتها على بابكم وقد نبت لحمي وجلدي على نعمتكم . . المرجو أن تحتفظوا بي في آخر عمري ولا تطردوني عن بابكم وأنا أقول بلسان الذلة والإفتقار دائماً .

عن حماكم كيف أنصرف   وهواكم لي به شرف
سيدي لا عشت يوم أرى   في سوى أبوابكم أقف

(1) بحار الأنوار : ٤٧ / ٥٠ ـ ٥١ .

* المثل الخامس . . .

* في دناءة الجهل والحث على العلم والفن

* ذكر أبو القاسم الراغب الأصفهاني في كتاب الذريعة أن رجلاً حكيماً عالماً دخل على رجل فوجد بيتاً مزيناً مفروشاً بالسجاد الملكي . . إلا أن صاحب المنزل جاهل عارٍ من حلية العلم خالٍ من الفضيلة وهو مجرد صورة إنسان . .

عندما رأى الحكيم ذلك بصق في وجه ذلك الرجل الجاهل فتعجب الجاهل من تصرف الحكيم هذا . . وقال : ما هذه السفاهة وما هذا الحمق الذي فعلته أيها الحكيم . .

قال الحكيم : ليست هذه سفاهة . . بل هي حكمة لأن البصاق يرمى به في أسوأ أماكن المنزل وأخسها ولم أر في منزلك أسوأ ولا أخس منك . . فرأيتك أهلاً لذلك . .

* يقول المؤلف :

نبه هذا الرجل العالم على قبح الجهل ودناءته . . وأن قبحه لا يزول بامتلاك بيت جيد وارتداء ثياب فاخرة ولكن لا يخفى أن فضيلة العلم تتوقف على اقترانه بالعمل فتصبح هذه الفضيلة وتلك الخصلة الشريفة (العمل) توأمين ولقد أجاد من قال :

« لا سلم إلى سماء الخلود أفضل من سلم العلم والعمل » .

« العلم يوصل إلى باب الله لا إلى الملك والمال والجاه » .
« ومن لا حظ له منه فهو ضال عاجز عن الوصول إلى تلك الرحاب » .
« العمل بلا علم بذر في أرض مالحة ، والعلم بدون عمل كالحي في القبر » .
« إن التعلم وعدم العمل به هو إقامة حجة الله عليك »[1] .

* قال عيسى بن مريم : أشقى الناس من هو معروف عند الناس بعلمه مجهول بعمله . .

* قال الحكيم سنائي :
« يا من أهواؤك إلهية ، وإلهياتك تغضب الله » .
« تنكبت الطريق فأنت ضال ، لم تعرف العز فأنت ذليل » .
« العلم الذي يطربك فالجهل أفضل منه بمائة مرة » .
« غول ذلك العلم الذي تسمع منه القيل ولا تسمع منه العمل » .
« عالمك غافل وأنت غافل ، وهل يوقظ النائم النائم » .
« متى تصبح ملاكاً ما دمت لم تطرد الكلب من الباب وتزيل الحجاب من أمامك » .
« قرية هذا الذي في صدرك وليس قلباً فهو مليء بالبقر والحمير والأثاث والعقار » .
« السائق والقائد والصراط هو الله فلا تعتقد أن هناك أفضل من القرآن ومن الأخبار » .

---
(١) مضامين أبيات فارسية .

* خاتمة الكتاب . . .

* تم مـا كان مقـدراً أن يكتب في هذه الـرسالـة الشريفـة في منتصف شهـر رمضـان المبـارك يـوم ولادة السبط الجليـل لخـير الـورى الإمـام الحسن المجتبى عليه السلام ، سنة ١٣٤٧ هـ وحيث أن هذه الرسالة تمت في هذا الشهـر الشريف فمن المناسب أن نختتم بدعاءين :

* **الأول** : روى الشيخ المفيد في المقنعة عن الثقة الجليل علي بن مهزيار عن أبي جعفـر الجواد عليـه السلام أنـه يستحب أن تقول كثيراً في كل وقت من الليـل والنهار في هذا الشهر من أوله إلى آخره :

يـا ذا الذي كـان قبل كـل شيء ، ثم خلق كـل شيء ، ثم يبقى ويفنى كـل شيء يـا ذا الذي ليس كمثله شيء ، ويـا ذا الذي ليس في السـماوات العـلى ولا في الأرضين السفلى ولا فوقهن ولا تحتهن ولا بينهن إله يعبـد غيره لـك الحمد حمـداً لا يقـوى على إحصـائـه إلا أنت فصـل عـلى محمـد وآل محمـد صـلاة لا يقـوى عـلى إحصائها إلا أنت . .

* **الثاني** : روى الشيخ الكليني وغيره أن الإمام الصـادق عليه السـلام علم زرارة هذا الدعاء ليدعى به في زمن الغيبة وامتحان الشيعة :

اللّهم عرفني نفسك فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف نبيك ، اللّهم عرفني

رسولك فإنك إن لم تعرفني رسولك لم أعرف حجتك اللّهم عرفني حجتك فإنك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني .

* إعلم أن العلماء ذكروا أن من الواجبات في زمن الغيبة الدعاء للإمام صاحب الزمان عليه السلام والصدقة عنه لسلامته عليه السلام ، ومن جملة الأدعية التي ورد استحباب قراءتها دائماً بعد تمجيد الحق تعالى والصلاة على الرسول والآل صلى الله عليه وآله . . هذا الدعاء :

اللّهم كن لوليك الحجة بن الحسن صلواتك عليه وعلى آبائه في هذه الساعة وفي كل ساعة ولياً وحافظاً وناصراً ودليلاً وعيناً حتى تسكنه أرضك طوعاً وتمتعه بها طويلاً .

كتبه العبد

عباس القمي المؤلف

*** وقد وقع الفراغ من ترجمته صبيحة يوم الأربعاء الثاني عشر من ذي الحجة لعام ١٤١٠ هـ والحمد لله رب العالمين**

بيروت ـ حسين كوراني

الفهرس

في امثال تنبه المؤمنين